# الفتوحات الإسلامية ودورها فى نشر الإسلام فى المشرق

## (الهند-الصين-روسيا)

د / على محمد مطاوع

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

الحمد لله حمداً يوافى نعمه ويكافئ مزيده والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد...

فإن المتأمل فى الدين الإسلامى، والممعن فى تشريعاته ليجد أنه الدين الحق الذى لا غنى عنه للفرد أو الجماعة أو المجتمع.

ذلك أنه احتوى فى أصوله ومبادئه كل ما يصلح لسعادة الإنسان، وكل ما تقوم به الحياة ويضمن للبشر أمنه واستقراره فقد تضمن العقيدة، والشريعة، والأخلاق وهؤلاء الثلاثة هم بناء الإنسان وتقويمه وسبب سعادته واستقامته.

وهذا الدين إن لم يكن ديناً مفروضاً من الله عز وجل لاتباعه والعمل به، لكان فى حق الفرد والجماعة والمجتمع أمراً لازماً يجب العمل به وتحقيقه فى الحياة واقفاً عملياً - يحيا به الإنسان وتحيا به الجماعة والمجتمع.

نعم : إن الإسلام بناء كامل متكامل شامل لكل جوانب الحياة الإنسانية لذلك. رضيه الحق ديناً للبشر جميعاً " إن الدين عند الله الإسلام...) ولم يرتضى غيره ديناً "ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين" لذلك اعتنقته الناس بسهولة ويسر وحملوه فى قلوبهم وبين جوانحهم يطيرون به إلى كل الدنيا إلى الناس جميعاً فى مشارق الأرض ومغاربها لا يهمهم فى ذلك سوى مرضاة الله وهداية الناس إلى طريق الله المستقيم، وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

لا يرجون من وراء ذلك جزاءاً ولا شكوراً إلا عفو الله ونيل رضاه.

أخلصوا لله وجهتهم، وصدقوا مع الله بقلوبهم فكان الله معهم

## تمهيد

الفتوحات الإسلامية هى تلك الفتوحات التى قام بها المسلمون الأوائل لنشر الإسلام والتعريف به وتحقيق مبادئه وأصوله فى الحياة العملية بلا إكراه ولا إجبار لأحد على اعتناقه أو الدخول فيه "فلا إكراه فى الدين....."[1].

ولعل فى تسمية الحرب فى الإسلام جهاداً إيماء إلى أنها ليست حرب قتل وغنم وغزو وغلب، وإنما هى لفتح البلاد أمام الدعاة المسلمين لنشر الإسلام وتعريف الناس به فيعتقده ويعتنقه من شاء من الناس فى حرية واختيار ويظل على عقيدته من شاء فى حرية واختيار، وهذا ما جعل الناس يطلقون على الحروب الإسلامية "الفتوحات الإسلامية" والفتوحات مصدر من الفعل الثلاثى فتح وجاء مزيداً بالألف والتاء لأنه لغير العاقل ويأتى على فتوح وفتوحات ونعنى بالفتوحات الإسلامية تلك الفتوحات التى قام بها الجيش الإسلامى لفتح البلاد ودعوة العباد للدخول فى الإسلام بعد تعريفهم بقيم الإسلام ومبادئه وتشريعاته.

ومن ثم دخل الناس فى الإسلام أفواجاً فى حرية مطلقة وإرادة كاملة. وإذا كان بعض الناس يقولون بقصد أو بغير قصد أن الإسلام انتشر بالسيف وهؤلاء لا يعلمون شيئاً عن الإسلام فكثير من البلاد لم يدخلها جيش ولا سيف وإنما دخلها الإسلام بالحكمة والموعظة والمجادلة بالتى هى أحسن، ومن هذه البلاد المدينة المنورة فهل دخلها الجيش أو السيف وأيضاً تلك البلاد التى نحن بصدد الكلام وهى بلاد شرق أسيا كالهند، والصين، وروسيا، وماليزيا،

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٦.



بتأييده ونصره، وعونه وتوفيقه ففتح لهم البلاد، وألان لهم قلوب العباد فساحوا فى الأرض ينشرون الإسلام، ويحققون السلام، والأمن والأمان، ويقيمون العدل والمساواة، ويرفعون الظلم والجور عن العباد وهم فى كل ذلك لا يبغون عرضاً زائلاً ولا غرضاً فانياً.

لهذا كله كان دافعى إلى بيان تلك الحقيقية من خلال هذا البحث البسيط المتواضع الذى يلقى بعض الضوء على هذا البقعة المترامية الأطراف الواسعة الأنحاء، والبعيدة فى أرض الله والذى دخلها الإسلام بلا جيوش جرارة ولا سيوف بتارة، وإنما دخلها بجهود العلماء المخلصين، والتجار الصادقين ومن على شاكلتهم من المؤمنين الصالحين.

وقد وسمته بهذا العنوان " الفتوحات الإسلامية ودورها فى نشر الإسلام فى المشرق (الهند - الصين- روسيا) وجاء على النحو التالى:

مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة.

المقدمة: وفيها بينت فضل الإسلام وما يتضمنه من قيم ومبادئ وأسس لا غنى للفرد، ولا للجماعة ولا للمجتمع عن الآخذ بها والعمل فى إطارها، والالتزام بها لتحقيق سعادة الإنسان وأمنه واستقراره.

المبحث الأول: انتشار الإسلام فى بلاد المشرق أسبابه ووسائله.

المبحث الثانى: انتشار الإسلام فى الهند.

المبحث الثالث: الإسلام فى الصين.

المبحث الرابع: الإسلام فى روسيا.

المبحث الخامس: الإسلام فى أوزبكستان من روسيا.

الخاتمة : وفيها النتائج والتوصيات.

الفهرس.

المراجع.

وغير ذلك من البلاد التى لم يذهب إليها الجيش الإسلامى بسيف أو غيره.

وإنما حمل الإسلام إليها رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه حملوه فى قلوبهم وبين جوانحهم يطيرون به إلى كل الدنيا إلى الناس جميعاً فى مشارق الأرض ومغاربها لا يهمهم فى ذلك سوى مرضاة الله، ودعوة الناس إلى طريق الله المستقيم أخلصوا لله وجهتهم، وصدقوا مع الله بقلوبهم فكان الله معهم بتأييده ونصره، وعونه وتوفيقه، ففتح الله لهم البلاد وقلوب العباد. فساحوا فى الأرض يعلنون التوحيد وينشرون الإسلام قولاً وعملاً وسلوكاً، لا يبتغون عرضاً زائلاً ولا غرضاً فانياً وإنما عفو الله ونيل رضاه.

وقد سلكت فى هذا البحث منهجاً علمياً: أجمع المادة العلمية من مصادرها مع انتقاء المادة العلمية المناسبة.

ثم أرتبها حسب موقعها من الكتابة فى البحث ولا أتقيد كثيراً بالعبارة وإنما أتعامل معها حسب ما أجد موقعها من الكلام ومن ثم قد أضيف كلاً ما إلى كلام دون تمييز وإنما العبرة هو ربط الكلام بعضه ببعض بتصرف بسيط من جانبى ثم أضع فى نهاية الكلام المصادر التى استقت منها واستنبطت منها الوقائع والأحداث ومن ثم قد أنسى بعض المراجع فى الهامش فأذكرها فى نهاية البحث. فإن وفقت فمن الله وإلا فالتقصير منى والكمال لله وحده.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



## المبحث الأول

### انتشار الإسلام فى بلاد المشرق

### أسبابه ووسائله

من أسباب ازدهار الإسلام وانتشاره فى هذه البلاد – برغم أن حكامها لم يكونوا من المسلمين – نشاط المسلمين ومركزهم المالى والتجارى . وذلك يرجع إلى أمور أهمها:

**التجارة**: كان المسلمون فى العصور الوسطى أكبر رجال القوافل التجارية وبخاصة العرب فبلادهم صحراوية لا يمكن اتصال نواحيها بعضها ببعض إلا بواسطة القوافل الكبرى الضخمة المحروسة، أو التى تسير فى أماكن اتفاقات مع القبائل الضاربة على طول الطريق، ثم إن البلاد التى كان العرب يجلبون منها البضائع، كانت بلاد صحارى فى غالبها، مثل هضاب ايران، وصحارى وسط أسيا، والصحارى المؤدية إلى الهند وبادية الشام وسيناء، وصحراء مصر الشرقية، ثم الصحراء الأفريقية الكبرى، وكان العرب فى صحرائهم قد اتقنوا تنظيم القوافل الكبرى قبل الإسلام، وكانت مكة أكبر سوق تجارية قائمة على القوافل التى عرفها التاريخ، وكان هاشم بن عبد مناف جد النبى صلى الله عليه وسلم أكبر رجل عرفه التاريخ بالمهارة فى تنظيم القوافل والتجارة القائمة عليها، فقد ورث هاشم: مجد جده قصى بن كلاب[1]

---

(١) قصى: تصغير قصى بفتح القاف وكسر الصاد بوزن فعيل من قصا يقصو إذا أبعد وسمى بذلك لأنه بعد عن عشيرته فى قضاعه حين احتملته أمه فاطمة بنت سعد معها وهو صغير بصحبة زوجها ربيعة بن حرام الذى تزوجته بعد وفاة كلاب فلما كبر عاد إلى مكة ولم شمل قريش وجمعها من أنحاء البلاد، لذا سمى "مجمعا" اسم فاعل من جمع بتشديد الميم وفيه قال الشاعر:

وأنتم بنو زيد وزيد أبوكم
به جمع الله القبائل من فهر

مؤسس قوة قريش وقائدها فى الاستيلاء على مكة وتحويلها إلى قاعدة للقرشيين، وإذا كان قصى قائدا عسكرياً، وسياسياً ماهراً، عرف كيف يقيم أمر جماعة مكة وحومتها، فقد كان هاشم رجل تجارة ومال. استطاع أن يضع القواعد السليمة للتجارة المكية، فنظم أمر المساهمات المالية التى يشترك بها أهل مكة فى تجارة الشام، واليمن، ثم عقد الاتفاقات مع القبائل التى تسير فيها طرق القوافل من اليمن إلى مكة، ومن مكة إلى بلاد الشام أو إلى مصر أو إلى غزة أو إلى العراق، وهذه الاتفاقات هى ما يعرف بالإيلاف ثم عقد بعد ذلك العصم – جمع عصمة، أو عصام - وهى إذن المرور الذى تعطيه الدول للسابلة والتجار لكى يسيروا فى أرضها فى أمان وقد أخذ هاشم العصم من رجال كسرى وقيصر ووكيل الأحباش فى "الشعبية" لتأمين متاجر مكة فى الحبشة.

فعن ابن عباس – رضى الله عنهما أنه قال: "والله لقد علمت قريش أن أول من أخذ لها الإيلاف، وأحاز لها العيرات لهاشم والله ما أخذت قريش حبلا لسفر، ولا أناخت بعيرا لحضر إلا هاشم"[1].

---

أبوكم قصى كان يدعى مجمعا به زيدت البطحاء فخرا على فخر وقد كان قصى أول بنى كعب بن لؤى أصاب ملكا أطاع له به قومه وكانت اليه الحماية، والسقاية والرفادة، والندوة، واللواء، وحاز شرف مكة كلها جميعا واليه يرجع بناء دار الندوة التى بناها قصى محل اجتماع القوم يجتمعون فيها لمهام الأمور كعقد الزواج، وعقد لواء الحرب التى لا يعقدها إلا هو، وكان رجلا مهابا وعالم قريش وأقومها بالحق.

أنظر فى ذلك: سبل الهدى والرشاد للشامى جـ١ ص ٣٢٤، وشرح المواهب اللدونية للزرقانى جـ١ ص ٧٢، ٧٤، لسان العرب جـ٩ ص ٤١٢.

(١) أنظر مختصر شرح الفتح الربانى للشيخ أحمد البنا الساعاتى جـ ١٧٨/٢٠، ط دار النهضة المصرية.



وبفضل تنظيم هاشم بن عبد مناف، انتظمت تجارة مكة قبل الإسلام وأصبحت من أكبر الأسواق التجارية فى الدنيا، ومن هاشم تعلم العرب تنظيم القوافل تنظيما دقيقاً، وتوارث العرب ذلك فأصبحوا أعرف الناس بتجارة القوافل ونظمها، وعنهم أخذ هذا الفن تجار وسط آسيا، من المغول والترك، والفرس ولشهرة العرب بهذا كان تجار الترك والفرس والمغول لا يولون قيادة القافلة وتنظيمها إلا عربياً.

هذه القوافل التجارية كانت مسلكا عظيماً من مسالك الإسلام، فمعظم هذه القوافل كانوا مسلمين، وكانت هذه القوافل تخترق البلاد يحملون الإسلام معهم وإليها وكلما حطت القافلة فى مكان رفع الأذان، وأقيمت الصلوات ورأى الناس – إن لم يكونوا مسلمين – المسلمين يقفون فى انتظام صفوفا يقيمون الصلاة فى صمت ووقار وخشوع فكان لذلك أثر كبير فى قلوبهم، وإقبالهم على اعتناق الإسلام بحرية واختيار.

وهكذا انتقل الإسلام عن طريق التجارة والقوافل التجارية إلى آسيا وسطا، وجنوبا، وشرقا.

### ٢ – الملاحة البحرية :

ولم تكن التجارة البرية وحدها هى السبيل لنشر الإسلام فى الشرق، إذ يوجد هناك إلى الشرق من الباكستان الشرقية جبال الهملايا الشهيرة حيث يقيم حائطا شاهقا عريضا شديد الوعورة كثيف الغابات، وهذا العامل هو الذى فصل الهند حضاريا وتاريخيا إلى حد كبير عن الهند الصينية، فمهرت العرب فى التجارة البحرية وكانوا أمهر الناس فى ركوب البحر، واشتهر بذلك من العرب أهل اليمن وحضر موت وعمان خاصة، فقد برعوا فى

كل فنون الملاحة البحرية، فأنشأوا مراكب تعبر البحار والمحيطات وأحكموها رغم صغر حجمها، وعرفوا عمل الأشرعة وإحكام تركيبها، فكانت التجارة التى مهر فيها العرب مسلكا عظيماً من مسالك الإسلام، التى حملته إلى سواحل الهند الشرقية، ثم بلاد ملقا، ثم بلاد إندونيسيا وما يليها إلى الشمال من جزر الفلبين. ولعل ذلك يفسر لنا امتداد الإسلام فى جنوب غرب الصين من الشمال الغربى وليس من كتلة الباكستان الشرقية وهى قريبة منها نسبياً[1].

وإلى هذا أشار الباحث الهندى الدكتور "تاراشند" فى مقال له نشرته مجلة "ثقافة الهند" مارس سنة ١٩٥٠م قال: أما كيف وصل المسلمون إلى الهند فنقول: "إن الروابط بين الهند والبلاد القريبة - القطر العربى وفلسطين، قديمة جدا فالملك سليمان كان يستورد الذهب والفضة والعاج والطواويس من بلاد الهند.. وأنشأ البطالسة موانئ على البحر الأحمر لتنشيط التجارة الهندية... ووجدت نقود الإمبراطورية الرومانية من زمن "أغسطس" (سنة ١٤م) إلى زمن الإمبراطور زينو (سنة ٤١٩م) فى حفريات الهند الجنوبية، وهذا دليل حسى على سعة التجارة الهندية مع العالم الغربى. وقد أبدى الفرس نفس النشاط الذى اتصف به الرومان... ثم قال: وقد كان من الطبيعى أن يهتم العرب بالتجارة بين الشرق والغرب وقد فطوا ذلك إلى أن قال: قال: " ويتو " كل شئ يحملنا على اليقين بأنهم - أى العرب - باشتراكهم مع الفرس تمتعوا فى هذه السواحل الهندية إلى

(١) أنظر العالم الإسلامى المعاصر د/جمال حمدان ص ٤١.



القرن الرابع عشر بالنفوذ الذى تمتع به البرتغاليون من بعدهم".

وكانت السفن العربية تبحر من سواحل البحر الأحمر أو من السواحل الجنوبية فتتجه إلى مصب السند، أو ساحل مليبار، وكانت الرياح تسهل مجراها إلى "كولم" والموانئ الأخرى، كما كانت السفن المبحرة من الخليج الفارسى تتخذ نفس الطريق، وبمساعدة الرياح تصل حتى جزائر الملايو - تايلاند، ماليزيا، سنغافورة، والفلبين - وساحل الصين.

ومن هذا القرن (الثامن الميلادى) الثانى الهجرى تقريباً - أخذ نفوذ المسلمين يزداد، وفى خلال المائة التالية استقروا بساحل مليبار كل الاستقرار، ورحبت بهم الحكومة الوطنية كتجار، وسهلت لهم السبل للمكث والتملك، وأطلقت لهم الحرية الدينية[1].

(١) تاريخ الإسلام فى الهند ص ٦٥، ٦٦، مصدر سابق، د. أحمد محمد عوف، مجلة منبر الإسلام، يناير عام ١٩٩٣م.

٣- **الحج**: إذا كانت التجارة والبحرية قد أدت دورا فعالا، ونشاطا حيويا فى نشر الإسلام وتبليغه عبر القارات، فإن الحج إلى بيت الله الحرام كان له هذا الدور الفعال أيضاً فى نشر الإسلام بل كان سبيلا لتعريف الناس به، والحج وإن كان عبادة محضة وركنا أساسيا من عبادات الإسلام، لكن أداء هذه الفريضة اقتضى تنظيم طرق الحجيج من جميع أنحاء العالم إلى مكة، وهى طرق معروفة، استخدمت طرقا للتجارة أحياناً وطرقاً خاصة بوفود الحج فى أحيان أخرى.

كانت هذه الطرق عامرة بالنشاط والسير على مدار العام. لأن ميقات الحج محدد، ولكن مواعيد خروج الحجاج من بلادهم لم تكن محددة، فان حجاج المغرب كانوا يقصدون للحج قبل موعده بعام، وحجاج غينيا مثلا يقصدون للحج قبل موعده بعام،

وحجاج الهند والصين واندونيسيا يقصدون الحج بمدة أطول والحاج إما أن يقطع تلك الرحلة بالبر أو بالبحر.

ففى البر لهم استراحات، ولهم منازل للراحة وفى أثناء ذلك يمرون على بلاد ويتقابلون مع أناس، ويتبادلون المنافع، وفى البحر أيضاً أقيمت الموانئ على السواحل البحرية، وفى كل ميناء كان الحجاج ينتظرون موعد السفينة الأخرى، أو موعد خروج المركب، إذا كانت الرحلة التالية بالبر، وهذا يعنى أن طرق الحج كانت عامرة بالحركة والنشاط طول العام، وهذه الطرق كانت تخترق بلادا وتمر على أناس ليسوا مسلمين أول الأمر فعندما يرون هؤلاء الحجاج رائحين وغادين إلى البيت الحرام، ويرون عباداتهم البسيطة، ومعاملاتهم الحسنة، وسلوكهم الحميد، يتأثرون بهم ويسلكون مسلكهم ويعتقدون عقيدتهم عن طواعية واختيار، وبهذا يظهر جليا أن الحج كان مسلكا من مسالك نشر الإسلام وتبليغ دعوته إلى الآفاق.

٤- **الدعاة**: إذا كانت التجارة والحج قد لعبا دورا هاماً فى نشر الإسلام، فإن هناك مسلكا آخر له دور فعال وحركة نشطة فى سبيل نشر الإسلام أيضاً وهو دور الدعاة الذين نذروا أنفسهم لنشر الدعوة دون أن ينتسبوا إلى هيئة أو نظام سموا بالصوفية لصفاء مسلكهم ونقاء سريرتهم وبعدهم عما يشين بإخلاص قلوبهم ووجهتهم لله رب العالمين.

لقد كان للطرق الصوفية - بما تحمل بين طياتها من تربية للنفوس، وتهذيب للأخلاق، وسمو بالروح - أثر فعال فى نقل الدعوة ونشر الدين، ودخول الناس فيه عن حب



وإخلاص - لقد كان الصوفى فى أى مكان يعتبر داعية للاسلام وليس من الضرورى أن يكون الصوفى منقطعا للعبادة مبتعدا عن الدنيا، معزولا عن الناس، ليكون داعية إلى الله. بل كان هناك من الصوفية تجار وأهل حرف، وعلماء تربوا على مشايخ كبار أخذوا معهم العهد على طاعة الله وطاعة رسوله، والسير على الصراط المستقيم فتخلقوا بخلق الإسلام الصحيح، ولزموا مكارم الأخلاق الحسنة وأقاموا العبادات كاملة، وصدقوا العهد مع الله، ومعاملة الناس، وزهدوا فى الدنيا وقنعوا بالرزق الحلال، فأغناهم الله بالحلال، فكان ذلك عونا لهم على نشر الدعوة واقبال الناس عليهم لما يرون فيهم من حميد الخصال، وعظيم الخلال، فضلا عن الورع والزهد والصلاح.

يحكى السعدى: مؤرخ "غانة" الإسلامية حكاية تاجر من (الفولا) كان يسكن أودغشت وكان فى أول أمره يعمل فى خدمة رئيس من رؤساء قبيلته ثم هداه الله إلى الإسلام، فأسلم على يد مريد من التيجانية وحافظ على العبادة، ولزم المسجد وصدق فى خدمة مولاه فأحبه هذا وأعطاه شيئا من المال، فتاجر فيه، وألفه أهل هذه الطريقة، فصاروا يأتمنونه على متاجرهم وأموالهم فاتسعت حاله وكثر ماله، وظل مع ذلك ملتزما لطريق الزهد والتعاون، ومكارم الأخلاق، وملازمة المساجد، وإنفاق المال فى إنشاء الزوايا والمساجد وزوجه مولاه إحدى بناته، فلما رأت حاله وكرم أخلاقه أسلمت، ومازالت بأبيها حتى أسلم وأسلم معه فى يوم واحد أهل قبيلته كلهم، وعدتهم إثنا عشر ألفا فخرج عن ماله كله وبنى مسجدا

كبيرا، أقام فيه خلوات للعبادة، وبيوتا لأهل السبيل، فما كان رجل أبرك منه على الإسلام فى هذه النواحى من البلاد[١].

وهكذا كانت الصوفية بطرقها السلمية، وآدابها القويمة مسلكاً عظيما من مسالك الإسلام. هذه المسالك التى اتصفت بسيرها وسلوكها فى الدعوة إلى الإسلام بالسلم والسلام، والأمن والأمان، ولم تحمل معها سوى العقيدة الصحيحة، والإيمان الراسخ، والإخلاص الصادق مع القلب الخاشع، واللسان الذاكر، والجوارح الطائعة لله رب العالمين، ففتح الله لهم البلاد والعباد، وكانوا بذلك كما وصف القرآن الكريم (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا)[٢] وصدق فيهم قول الحق وعلا: (قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين)[٣].

---

(١) الإسلام الفاتح ص ٢٩، ٣٠ بتصرف. الدعوة إلى الإسلام: سيرتوماس وأرنولد ترجمة د/ حسن إبراهيم وآخرين ص ٣٠٧ط النهضة المصرية سنة ١٩٧٠.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٢٣.

(٣) سورة يوسف: آية ١٠٨.



## المبحث الثانى
## الإسلام فى الهند

كلمة الهند مستمدة من كلمة (سندهو) وهو الاسم الهندى لنهر (الأندوس) وهو نهر السند ومن هذه الكلمة اشتقت كلمتا (أندا) و (هند) ومعناها الأرض التى تقع فيما وراء نهر الأندوس وأصبح سكان هذا الإقليم يسمون الهندوس أو الهنود كما أصبحت بلادهم تعرف بالهندوستان[١].

على أن (جوستاف لوبون) فى كتابه حضارة الهند[٢] ذكر رأيا آخر قال فيه: يحتمل اشتقاق هذا من اسم إله الهنود (اندرا).

وأياما كان الأصل لهذه الكلمة..

فإن اليونانيين فى القرن الرابع قبل الميلاد كانوا يطلقون كلمة (الهند) على النصف الشرقى من الكرة الأرضية يقصدون بذلك على وجه التحديد: كل ما يقع على الجانب الشرقى لنهر السند، بما فى ذلك الصين أيضاً ثم أطلقت فيما بعد على هذه المنطقة الشاسعة من وسط آسيا والذى يحدها من الشمال جبال الهملايا، والمحيط الهندى ومن الغرب جبال هندكوش وسليمار حيث تقع أفغانستان وايران ثم تمتد الهند وتبدو على هيئة شبه جزيرة تشكل مثلثا.

قاعدته فى الشمال جبال الهملايا حيث الصين وأفغانستان.

ورأسه فى الجنوب حيث يفصل بينه وبين جزيرة سيلان مضيق (بولك) وخليج منار ويمتد ضلعه الشرقى خليج البنغال والغربى بحر العرب.

وهذه البلاد تقع شمال خط الأستواء بين خطى عرض ٨، ٣٧،

---

(١) حقائق عند الهند نقلا عن تاريخ الإسلام فى الهند، د. عبد المنعم النمر، ص٢.

(٢) تعريب د. عادل زعيتر، ص ٢٥.

وخطى طول ٦١ – ١٠٠ شرق جرينتش فهى بذلك تقع فى الأقاليم الحار والأقليم المعتدل وفيها من الفصول المناخية ثلاثة فصول فصل حار جدا، وفصل الأمطار الموسمية، وفصل الشتاء.

ففصل الحرارة يبدأ من ابريل إلى يونيه وتكون الحرارة شديدة جدا ثم يأتى فصل الأمطار الموسمية التى تخفف قليلا من حدة الحرارة ويبدأ المطر فى الجنوب والشمال بغزارة شديدة يصحبه رعد وبرق وتسبب الأمطار سيولا وفيضانات تقضى على الحمل والنسل وتنزل وراءها خرابا وبؤسا وأمراضا متعددة وبخاصة فى المناطق الشرقية مثل البنغال وآسام.

ثم يبدأ فصل الشتاء بدفء فى الجنوب بالغ البرودة فى الشمال وتسقط الثلوج وتتجمد المياه قريباً من سفوح الهملايا على أن هذه المنطقة المترامية الأطراف تضم فى طياتها بيئات طبيعية مختلفة. ففيها الجبال الشاهقة والوديان العميقة والصحارى المقفرة، والغابات الكثيفة والمروج الخصبة. وكان لذلك أثر كبير فى مناخ تلك البلاد القارى.

وكذلك اختلاف شعوبها اختلافا لا مثيل له فى أى منطقة من مناطق العالم وكثرت لغاتها، وتباينت لهجاتها تباينا لا نظير لا فى أى دولة من دول العالم، وبناء عليه فلا غرابة أن يكون الصراع بين الأديان صراعا مختلف الأنواع والأشكال فالهند تضم خليطا عقائديا ودينيا متصارعا، بين الهندوس الذى يمثل الأغلبية (٨٠%) والمسلمين (١٥%) والذين يبلغ عددهم ١٢٠ مليون مسلم، والسيخ والبوذيين (٥%) وهذا الصراع العقائدى كان يدور خلال أحد عشر قرنا من التاريخ فى الهند وكان للإسلام فيها



السيادة والريادة وهذا ما جعل الامبراطور المغولى المسلم – جلال الدين أكبر[1] – يقول قولته الشهيرة: لو وجدت أحدا يمكنه حكم إمبراطورية الهند سوف أضع على عاتقه هذه التركة الثقيلة وأنسحب بعدها، لأن الهند طول تاريخها كانت تعانى من الانقسامات الطائفية والعرقية والعسكرية.

والذى يقرأ التاريخ الإسلامى فى الهند سيجده تاريخا متداخلا بل مختلطا فى أحداثه وصوره، لأن تاريخ الفتح الإسلامى للهند تضاربت فيه الأقوال والأحداث وتباينت فيه أقوال المؤرخين.

---

(١) من أشهر ملوك الدولة المغولية تولى عرش هذه المملكة الإسلامية وهو شاب فى مقتبل العمر فى منتصف القرن السادس عشر الميلادى سنة ١٥٥٦م وظل حاكما قوياً لها حتى عام ١٦٠٥م. (انظر أثر البيئة فى ظهور القاديانية د. محمد شامة).

لكن بصمات الإسلام هناك خير شاهد على عظمة الحضارة الإسلامية فى هذا الجزء من العالم الإسلامى..

وكانت الهند تعتبر ابان الدولتين الأموية والعباسية جبهة المشرق الإسلامى فى بلاد ما وراء النهر التى كانت تتبع سياسياً الكوفة أيام الأمويين وولاية خراسان أيام العباسيين.

ولقد تناول وصف الهند الكتاب الرحالة والمؤرخون والجغرافيون المسلمون أمثال: المسعودى، والبيرونى، والمقدسى. فكانت رواياته تتناول عجائب الهند وطرقها ومسالكها وعاداتها وأقاليمها وما نراه بالتفصيل فى كتاب (تحفة النظار) لابن بطوطة الرحالة الشهير، لأن الهند كانت موئلا للتجارة العالمية وتقع على طريق الحرير وكانت تفد إليها تجارات

الشرق الأقصى من الصين وجاوة وسومطرة والملايو، وسرنديب (سيلان) وتفد إليها تجارات الغرب بالمحيط الهندى من الصومال ومدغشقر وبقية ساحل شرقى أفريقيا ولا سيما جلب البخور.

وكان العرب التجار من اليمن وعمان وظفار والبحرين وحضرموت لهم دورهم الرئيسى فى هذه التجارات العالمية، وكانت لهم وكالاتهم التجارية فى موانئ المحيط الهندى، ولا سيما فى ساحل المليار بالهند وفى مدينة بومباى، وفى موانئ الصين وغيرها من موانئ الشرق الأقصى، وكانت توجد بها الجاليات العربية، وكانت اللغة العربية هى اللغة الدولية والتجارية هناك.

وأقيمت فيها المساجد، ومع هذا المد من النشاط التجارى العربى أنتشر الإسلام فى أرخبيل الملايو والصين وسيلان ومالديف وجاوة وسومطرة[١].

وكان التجار العرب هم واسطة هذه الصلات تقريباً، فبلادهم قريبة من الهند تقع على بحر العرب كما تقع الهند، وسفنهم هى التى كانت لها النصيب الأكبر فى نقل التجارة بين الهند وبين هذه البلاد، ومن الطبيعى أن يكون التجار والبحارة العرب بحكم عملهم أكثر صلة بالهنود، كما كانت لهم معرفة ودراية بالمدن الهامة الواقعة على الساحل الطويل لبحر العرب بل كانوا يذهبون إلى ما وراء ذلك فى خليج البنغال[٢] وبلاد الملايو[٣] وجزر أندونيسيا حتى كونوا لهم جاليات عربية فى بعض ثغور هذه البلاد.

---

(١) تاريخ الإسلام بالهند حضارة وسماحة، د. أحمد محمد عوف، منبر الإسلام، العدد ٧ يناير سنة ١٩٩٣.

(٢) المعروفة بجنوب شرق آسيا الآن وتعرف بماليزيا والفلبين وغيرها من البلاد.

(٣) البنغال: دولة البنجلاديش الآن.



وحين ظهر الإسلام ودخل العرب فى دين الله أفواجا كان منهم أيضاً تجار وبحارة من العرب الحضارمة وأهل الجزيرة وغيرهم، ممن حملوا معهم هذا الدين الجديد إلى البلاد التى يتعاملون معها، وكان من الطبيعى أن يتحدث هؤلاء فى حماس وإيمان وثقة عن دينهم الجديد، وعن هذا الرسول العظيم الذى ظهر فى بلادهم يدعو الناس إلى التوحيد والإخاء والمساواة والمعاملة الحسنة، والعدل والإحسان بين الناس جميعاً.

وكانت الهند حينئذ تئن من التفرقة ونظام الطبقات القاسى الذى تقوم عليه ديانتهم، فكان حديث التوحيد والمساواة والعدل والإحسان أمرا جديدا ونغمة حلوه وجدت لها صدى لدى الناس يحلو لهم سماعها، وكانوا يقارنون بين هذا الدين وبين ما هم فيه من أوضاع التفرقة وأثقالها، ووجد الدين قلوبا مفتوحة له، واقبال من الناس للدخول فيه ليتخلصوا من التمزق النفسى الاجتماعى الذى كانوا يعانون منه، كما ينفضون عنهم الوثنية الهندوسية المملوءة بالخرافات والأساطير.

ولذا وجد الإسلام فى الهند مرتعا خصبا وأرضاً سهلة وأصبح فى كل ميناء أو مدينة اتصل بها المسلمين جماعة اعتنقوا الإسلام طواعية واختيارا، وأقاموا المساجد وباشروا شعائرهم فى حرية تامة، لما كانوا يتصفون به من أمن وسلام وخلق كريم وسماحة نفس لم يسبق لها مثيل ولما كان للمسلمين والعرب فى ذلك الوقت من منزلة عند الحكام باعتبارهم أكبر العوامل فى رواج التجارة الهندية التى كانت تدر على هؤلاء الحكام الدخل الوفير.

وكانت سواحل السند، ومليبار الواقعة على بحر العرب من أسعد هذه البلاد بالدين الجديد هى وجزيرة سيلان أو جزيرة الياقوت، كما يسميها المؤرخون القدامى. ولم تذكر كتب التاريخ عن هذه الجهود

٣٩٠ الفردية التى كان يبذلها هؤلاء التجار والبحارة العرب فى سبيل الإسلام إلا القليل النادر ونحن فى هذا الصدد ننقل شيئا من ذلك:

ذكر الشيخ زين الدين[1] قال: إن جمعا من اليهود والنصارى دخلوا بلدة من بلاد (مليبار) - يقال لها (كدنكلور) وهى مسكن دخول بلدة من بلاد (مليبار) - يقال لها (كدنكلور) وهى مسكن ملكها - فى مركب كبير بعيالهم وأطفالهم وتوطنوا فيها وبعد ذلك وصل إليها جماعة من فقراء المسلمين معهم شيخ قاصدين زيارة قدم أبينا آدم عليه السلم بسيلان - بالهند - فلما سمع الملك بوصولهم طلبهم وأضافهم، وسألهم عن الأخبار فأخبره شيخهم بأمر نبينا محمد ﷺ وبدين الإسلام، وبمعجزة إنشقاق القمر، فأدخل الله سبحانه وتعالى فى قلبه صدق النبى ﷺ فآمن به ودخل فى قلبه حب النبى ﷺ وأمر الشيخ أن يرجع هو وأصحابه إليه بعد أن يتموا زيارتهم لقدم آدم عليه السلام ليخرج هو معهم، ومنعه أن يحدث بهذا السر المليباريين ثم إنهم سافروا إلى سيلان ورجعوا إليه، فأمر الشيخ بأن يهئ مركبا لسفره من غير أن يعلم به أحد، وكان فى البندر المذكور مراكب كثيرة للتجار الغرباء، فقال الشيخ لصاحب مركب: أنا وجماعة من الفقراء يتوقون أن يركبوا فى مركبك، فرضى بذلك ولما قرب وقت السفر نهى الملك أهل بيته ووزرائه أن يدخل أحد منهم عليه مدة سبعة أيام، ورتب أمور البلاد من بعده.

(١) هو شيخ زين الدين بن عبد العزيز المعبرى، عائلته يعرفها أهل مليبار حتى اليوم بأنها عائلة علم وورع وتقوى وكان جده زين الدين أبو يحيى من كبار العلماء المتصوفين وصاحب تصانيف كبيرة باللغة العربية، بنى جامعا فى (بنانى) وحوله مدرسة وزاوية كانت تأوى العلماء والمتصوفين القادمين من مصر وسوريا ومنهم الشيخ شهاب الدين أحمد ابن حجر الهيثمى عام ٩٠٩ هـ، حيث علم فيها دروس التفسير والحديث وتتلمذ عليه الشيخ زين الدين هذا وقد نقل كتاب التحفة من العربية إلى البرتغالية سنة ١٨٩٨م والانجليزية سنة ١٨٣٣ والأوردية، ويعتبر من الكتب الموثوق بها (تاريخ الإسلام فى الهند، د. عبد المنعم النمر ص ٦٠، ٦١، نقلا عن كتاب تحفة المجاهدين فى بعض أخبار البرتغاليين للشيخ زين الدين المعبرى القسم الخاص بظهور الإسلام فى مليبار) تقع على ساحل قرب شبه القارة الهندية، ومركز تجارى عالمى فى القرنين ١٣، ١٤.



ثم إن الملك ركب مع الشيخ والفقراء ليلا وسار المركب حتى وصل إلى (شجر) ونزل فيها هو ومن معه أياما سنح لهم فيها بترتيب جماعة من المسلمين يذهبون إلى (مليبار) تدعو الناس للإسلام وتنشىء فيها المساجد، ولكن فوجىء الجميع بمرض الملك مرضا شديدا ولكنه أوصى الدعاة وهو فى شدة مرضة ألا يتأخروا عن السفر إذا مات، وكان هؤلاء الدعاة (شرف بن مالك، وأخاه مالك بن دينار، وابن أخيه مالك بن حبيب بن مالك فقالوا له لا نعرف موضعك ولا حد ولا يتك، وإنما أردنا السفر بصحبتك فتفكر الملك ساعة ثم كتب لهم ورقة بخط مليبارى عين فيها مكانه وأقرباءه وأمرهم أن ينزلوا فى (كدنكلور) أو (دار فتن) أو (فندرينه) أو (كولم) وقال لهم لا تخبروا أحدا بمرضى أو بموتى ثم إنه توفى إلى رحمة الله، وبعد ذلك سافرت البعثة مع أسرها إلى مليبار فوصلوا إلى (كدنكلور) ونزلوا فيها، وأعطوا مكتوب الملك المتوفى إلى الملك القائم مكانه أو نائبه وأخفوا خبر موته، فلما قرأها وعلم مضمونها أعطاهم الأراضى والبساتين على مقتضى ما كتبه الملك فأقاموا فيها وعمروا بها مسجدا وتوطنوا بها وجعلوها مركزا ونقطة ارتكاز ينتشرون منها إلى البلاد المجاورة. لينشروا الإسلام، فتوطن فيها (مالك بن دينار) وارتحل ابن أخيه (مالك بن حبيب) للدعوة للإسلام وبناء المساجد، فوصل إلى (كولم) بأسرته وعمر بها مسجدا وخرج منها وترك بها زوجته فى (كولم) ورحل الى (هيلى ما راوى) وعمر بها مسجدا ثم إلى (باكنور) وعمر بها مسجدا ثم رجع الى منكلور، وعمر بها مسجدا ومنها الى (كاتجركوت) وعمر بها مسجدا ثم ذهب الى (جرفتن) ومنها إلى

(شاليات) وعمر بكل منها مسجدا ثم عاد الى (كدنكلور) عند عمه (مالك بن دينار) ثم خرج ومعه عمه مالك إلى هذه المساجد التى بناها حيث صلى فى كل منها ورجع إلى (كدنكلور) شاكرا الله وحامدا له ظهور دين الإسلام فى أرض ممتلئة كفرا، ثم خرج مالك ابن دينار، ومالك بن حبيب مع الأصحاب والأتباع والمريدين إلى (كولم) وتوطنوا فيها إلا (مالك بن دينار) وبعض أصحابه فإنهم سافروا إلى "شحر وزاروا قبر الملك المتوفى فيها، ثم سافر مالك الى خراسان وتوفى فيها هو وزوجته، أما مالك بن حبيب فانه رجع إلى "مليبار" وترك بعض أولاده فى "كولم" واتخذ لنفسه وزوجته مستقرا فى "كدنكلور" حتى انتقلا إلى رحمه الله[1].

وهذه الحكاية مشهورة عند كفرة مليبار أيضاً أما ما اشتهر عند مسلمى مليبار من أن اسلام الملك المذكور كان فى زمن النبى (ﷺ) برؤيته انشقاق القمر وأنه سافر إلى النبى ﷺ وتشرف بلقائه... وإن كان هذا لا يكاد يصح منه شىء.

فإن المؤرخ "فرشته" الذى كتب تاريخ الهند فى عدة أجزاء بالفارسية وترجمه للأوردية فقد ذكر أيضاً أن هذه الحادثة وقعت فى زمن الرسول ﷺ، وأن السامرى - (لقب لملكهم وينطقونه أحياناً "الزامورين" - رأى بنفسه معجزة شق القمر وسافر وقابل الرسول، ومات حين رجوعه فى ظفار بعد ما ذكر الرواية الأولى دون أن يرجح إحداهما[2].

(١) قبره معروف فى شمال مليبار - باسم قبر سيدنا مالك.

(٢) تاريخ فرشته الترجمة الأوربية جـ٤ ص ٨٣٤ نقلا عن مجلة ثقافة الهند عدد سبتمبر سنة ١٩٥٥ من مقال للاستاذ/ محى الدين الألوائى المليبارى.



ويبدو من سياق هذه الروايات أن الإسلام دخل الهند مع التجار العرب فى زمن النبى ﷺ وأن هذا الملك أراد أن يرى بنفسه ما سمعه وأخبر به عن نبى الإسلام ويتبين حقيقة الأمر وحين رجوعه ومعه هؤلاء الرعاه وافاه الأجل لكنه أوصى لهم بهذه الوصية التى أوقف لهم بعض الأراضى والأماكن ليبنوا فيها المساجد ويستعينوا بها على نشر الإسلام فى تلك البقاع، كما أن الحادثة لا اختلاف عليها وإنما الخلاف فى زمن وقوعها، ونحن لا يهمنا كثيرا البحث فى الأسماء والأزمان بقدر ما يهمنا إثبات الحادثة ووقوعها دليلا على انتشار الإسلام فى هذه البلاد منذ وقت مبكر وبلا قتال ولا رفع سيف، ولا دخول جيش جرار وعناية الكتب بذكر هذه الحادثة دليل على أهميتها لأنها وقعت من الملك والكتب التاريخية دائماً تعنى بحوادث الملوك قبل أن تعنى بحوادث الأفراد[*].

وعلى أى حال فإن الإسلام انتشر فى بلاد الهند بجهود فردية ولم تكن هناك قوة تجبر الناس على الإسلام، أو حاكم مسلم يحميهم ويرعى شؤون المسلمين، بل كانت جهود الأفراد وقوة نفوذ الإسلام وبساطته هى التى مهدت له السبيل.

(*) أنظر فى ذلك تاريخ الاسلام فى الهند ص ٦٤، ٦٥ الدعوة إلى الإسلام أرنولد ص ٢٩٦.

## فتح الهند:

إذا كان الكلام فيما سبق عن دخول الإسلام إلى بلاد الهند فإنما كان يعنى دخوله بالجهود الفردية السلمية الهادئة لنشر دعوة الإسلام فى تلك البلاد.

لكن يبدو أن تلك الجهود الفردية السلمية تعرضت للاضطهاد – نتيجة انتشار الإسلام وإقبال الناس عليه – من قبل السلطات، وسدنة النار ومن يخافون على جاههم وسلطانهم وديانتهم.

فنتج عن ذلك تفكير من قبل الحكام المسلمين للاتجاه نحو هذه البلاد، ونشر دعوة الإسلام فيها وضمها إلى رقعة الدولة الإسلامية، وبخاصة بعد أن وطىء المسلمون أرض فارس، وقوضوا عرش كسرى، ووصلت الفتوحات الإسلامية شرقا إلى حدود الهند.

بدأ هذا التفكير فى عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين فكر واليه – على البحرين وعمان – عثمان بن أبى العاصى الثقفى سنة ١٥هـ فى تسيير جيشه إلى الهند[١].

يقول البلاذرى: ولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه عثمان بن أبى العاصى الثقفى البحرين وعمان سنة ١٥ هـ. فوجه أخاه الحكم إلى البحرين ومضى على عمان فأقطع جيشاً إلى تانه[٢].

فلما رجع الجيش كتب إلى عمر يعلمه ذلك. فكتب اليه عمر: يا أخا ثقيف: حملت دودا على عود. وإنى أحلف بالله أن لو أصيبوا لأخذت من قومك مثلهم[٣]. ووجه الحكم أيضاً

---

(١) فتوح البلدان جـ ص ص ٥٣٠ تحقيق د/صلاح الدين المنجد ط/ مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥٧م.

(٢) تانه تقع شمال بومباى على بعد ١٥ ميلا منها، وهى تقع على بحر العرب.

(٣) يبدو من كتاب عمر رضى الله عنه إلى وإليه أنه كان يخاف على العرب الفاتحين ويخشى عليهم الانسياح فى هذه البلاد البعيدة الوعرة فيقضى عليهم



إلى بروص. ووجه أخاه المغيرة بن أبى العاصى إلى خور الديبل[١]، فلقى العدو فظفر به.." وعمر رضى الله عنه بتوجيه كتابه لواليه إنما هو من قبيل خوفه وشفقته على المسلمين الذين ولى أمرهم ومسئول عن سياستهم وتوجيههم، ورعايتهم، فلا يريد أن يزج بهم فى طرق يخاف عليه منها وبخاصة أنهم يبتعدون عن مركز الخلافة ويوجد مسافات وحوائل، ربما تحول بينه وبين الخليفة فلا يمكنه إمدادهم حين يحتاجون إلى الإمداد. وهذا ما جعله يرسل إلى عمرو بن العاص – بعد أن وجهه لفتح مصر – يأمره بالرجوع عن غزو مصر إن لم يكن قد دخل حدودها. وأيضاً نراه يمنع معاوية واليه فى الشام من ركوب البحر الأبيض لفتح إحدى الجزر الواقعة قريباً من ساحل الشام..."[٢].

يقول البلاذرى: فلما ولى عثمان بن عفان رضى الله عنه وولى عبد الله بن عامر بن كريز العراق كتب إليه يأمره أن يوجه إلى ثغر الهند من يعلم علمه وينصرف إليه يخبره. فوجه حكيم بن جبلة العبدى. فلما رجع أوفده إلى عثمان فسأله عن حال البلاد، فقال: يا أمير المؤمنين: قد عرفتها وتنحرتها (أى عرفتها

---

ويهلكون وبخاصة أنهم يركبون البحر. وهم حملة الإسلام فلو أنهم هلكوا والإسلام فى عهده الأول لم يجد له حملة من بعد، أضف إلى ذلك شفقه عمر رضى الله عنه على الجيش الإسلامى وحرصه الشديد على سلامته وعدم المجازفة به فى بلاد لا يعرفون ولا يعلمون عن طرقها ومسالكها شيئا.

(١) الديبل مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند وهى مدينة كراتشى الحالية فى باكستان.

وبروص: بلدة تقع بين نهر تريدا، وبلدة سورت وهى كانت ميناءا قدما.

انظر معجم البلدان لياقوت الحموى جـ٢ ص ٤٩٥.

(٢) تاريخ الإسلام فى الهند ص ٧٢، فتوح البلدان جـ١ ص ١٥٢.

وفحصتها فحصا جيدا). قال: فصفها لى قال: ماؤها وشل، وتمرها دقل"[١]، ولصها بطل إن قل الجيش فيها ضاعوا، وإن كثروا جاعوا.

فقال له أمير المؤمنين عثمان - رضى الله عنه - : أخابر أم ساجع؟

قال: بل خابر - فلم يغزها أحد.

فلما كان آخر سنة (٣٨ هـ) ثمان وثلاثين وأول سنة (٣٩ هـ) تسع وثلاثين فى خلافة الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه توجه الى ذلك الثغر الحارث بن مرة العبدى متطوعا باذن على بن أبى طالب رضى الله عنه - فظفر وأصاب مغنما وسبيا.. ثم قتل ومن معه بأرض القيقان[٢] إلا قليلا، وكان مقتله فى سنة (٤٢ هـ) وفى عهد معاوية بن أبى سفيان غزا المهلب بن أبى صفرة بلاد السند سنة (٤٤هـ) حيث وصل إلى بنة ولاهور وهما بين الملتان، وكابل[٣] ثم وصل إلى القيقان وكابول بأفغانستان[٤]، وقد ظل القواد المسلمون يواصلون جهودهم فى فتوحات الهند ويطرقون أبوابها ويصيبون من أطرافها حتى كان زمن الحجاج بن يوسف الثقفى عامل الوليد بن عبد الملك على العراق، وبدأت الحملة القوية المنظمة تتجه إلى الهند وفتحها وضمها إلى البلاد الإسلامية، فأرسل ابن أخيه محمد بن قاسم الثقفى ٩٢هـ لما عرف عنه من الشجاعة والصلابة - رغم صغر سنه - وقد جهزه الحجاج بجيش قوى وزوده بكل ما يحتاج إليه حتى الخيوط

---

(١) وشل: قليل، ودقل: ردىء.

(٢) القيقان من بلاد الست مما يلى خراسان، معجم البلدان: جـ٤ ص ٤٤٣.

(٣) بنة مدينة - بكابل، وكابل ولاية كبيرة بين الهند وغزنة، والملتان: مدينة من نواحى الهند قرب غزنة (معجم البلدان جـ١ ص ٥٠٠، جـ٥ ص ١٨٩، جـ٤ ص ٤٢٦.

(٤) فتوح البلدان للبلاذرى: جـ٣ ص ٥٣١ وما بعدها، وتاريخ الاسلام بالهند، حضارة وسماحة: د. أحمد محمد عوف.



والمسال، وعمد الحجاج إلى القطن المحلوج فنقع فى الخل الأحمر الحاذق ثم جفف فى الظل، فقال: إذا صرتم إلى السند فان الخل بها (ضيق) (أى قليل)، فأنقعو هذا القطن فى الماء ثم اطبخوا به واصطبغوا.

ويختلف المؤرخون فى ذكر السبب الذى حدا بالحجاج إلى تسيير هذه الحملة للهند: فيذكر البلاذرى أنه كان فى سيلان أو جزيرة الياقوت كما يسميها[١] نسوة من العرب المسلمين مات عنهن آبؤهن، وكانوا تجارا، فأراد ملك الجزيرة أن يجامل الحجاج ويرسل له هؤلاء النسوة هدية إليه تقربا منه فأركبهن سفينة إلى البلاد العربية، فعرض للسفينة قوم من مدينة الديبل فى بوراج فأخذوا السفينة بما فيها، فنادت امرأة منهن - وكانت من بنى يربوع - (يا حجاج) وبلغ الحجاج ذلك فقال: (لبيك) فأرسل إلى "داهر"[٢] يسأله تخلية النسوة فقال: انما أخذهن لصوص لا أقدر عليهم، فحمل ذلك الحجاج على غزو السند مملكة. "داهر"[٣].

ويذكر بعض المؤرخين: أن سبب الحملة هو هجرة جماعة إلى السند من بنى هاشم فرارا من ظلم الحجاج وعسفه بالعراق، فكتب الحجاج إلى ملك السند يطلب منه تسليم الفارين، ولكنه أبى فقرر أن ينتقم لنفسه من ملك السند[٤].

وليس هناك ما يمنع أحد الأمرين أو كليهما أن يكون سببا فى حفز الحجاج لغزو هذه البلاد..

---

(١) يقول البلاذرى: سميت جزيرة الياقون لحسن وجوه نسائها، فتوح البلدان:

(٢) رئيس القوم.

(٣) فتوح البلدان: جـ٣ ص ٣٤ مصدر سابق.

(٤) تاريخ الإسلام فى الهند: ص ٧٣، ٧٤، نقلا عن مجلة الثقافة الهندية، مارس ١٩٥٠، مقال للدكتور تاراشند عن وصول المسلمين للهند، وتاريخ الهند للسيد الهاشمى بالأوردية.

وعلى أى حال فان الحملة الإسلامية واصلت فتحها للبلاد الهندية، بقيادة محمد قاسم حتى بلغت فى فتحها إلى نهر السند، وبعد قتال مع "داهو"[١] ملك السند استولتا على بلو خستان وديبال عام ٧١٢م ووصلت بعدها الى ملتان بعدما استولت على وادى الهندوس، وأصب جنوب غرب البنجاب والسند وديكان أحد الأقاليم الأموية، وأصاب الجيش الإسلامى أموالا وغنائم كثيرة سيقت إلى الحجاج، فسر بها ورأى كيف نجحت الحملة نجاحا عظيما فقال: شفينا غيظنا، وأدركنا ثأرنا، وازددنا ستين ألف درهم ورأس "داهو"[٢].

وفى الوقت الذى كان فيه القائد العظيم محمد قاسم الثقافى ينتقل من نصر إلى نصر مؤملا أن يضم إلى المملكة الإسلامية مملكة الهند الشمالية وعاصمتها قنوج جاءه خبر وفاة عمه الحجاج سنة ٩٥هـ، وبعد قليل جاءه خبر وفاة الخليفة الوليد بن عبد الملك، وتولية سليمان بن عبد الملك، وعزل محمد بن قاسم الثقفى بعد أن حقق هذه الفتوحات العظيمة، وسار فى سياسته للبلاد المفتوحة سيرة حسنة ودبر أمورها تدبيرا جيدا، فألف قلوب أهلها وحبب الناس فى الإسلام بتلك السياسة الحكيمة التى اتبعها فى فتح البلاد.

وكان لفتح بلاد السند أمام الإسلام أثر كبير جدا إذ أصبحت مركزا حضاريا فى شبه القارة الهندية حيث ترجمت الكتب الهندية من اللغة السندية إلى اللغة العربية، وإلى اليوم يحتفل أهل السند بيوم الفتح الإسلامى سنوياً، وفى عهد الخليفة – عمر بن عبد العزيز كتب إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام

(١) ويسميه البلاذرى، داهر ويذكر د/أحمد محمد عوف أنه (داهو).

(٢) فتوح البلدان جـ٣ ص ٥٣٨.



والطاعة، على أن يظلوا على ملكهم، ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، وقد سبقته سيرته الطيبة إلى أسماع هؤلاء فأسلم بعضهم وتسموا بأسماء العرب، وأخذ الإسلام يتوغل فى شبه القارة الهندية، وأهتم العرب بترجمة التراث الهندى فى الفلك والحساب الهندى والفلسفة الهندية وكان أول كتاب ترجم إلى العربية كتاب (السدهند) للسيدهانته، ترجمه محمد بن ابراهيم الغزارى أول فلكى فى الإسلامى وكان ذلك فى عهد المنصور.

وظلت بلاد الهند خاضعة للحكم الإسلامى إبان الدولة الأموية، والدولة العباسية زهاء خمسمائة عام حتى غزاها الفاتح المغولى بابر سنة ١٥٢٦م واستولى عليها ليستمر الحكم المغولى الاسلامى هناك حوالى ثمانمائة عام أخرى.

## دور الهند فى نشر الإسلام:

لعبت الهند دورا رئيسيا فى نشر الإسلام فى الشرق الأقصى وهذه الحقيقة التاريخية أكدها المستشرق الهولندى (ستوك هوجوتجه) عندما قال: بأن الإسلام وفد إلى جزر الهند الشرقية اندونيسيا والملايو وجاوه وسومطرة والفلبين" عن طريق الهند فى جعبة التجار المسلمين وكانت (كمباية) بولاية كوجرات الهندية مركزا نشطا للدعوة الإسلامية فى أواخر القرن الثالث عشر لأن موانئ الهند والسنغال كانت بها وكالات لكبار التجار العرب والأفارقة والفرس المسلمين حتى نجد اللغة العربية كانت متداولة فى كل موانئ الشرق الأقصى والهند.

لهذا نجد اللغة السندية قد تأثرت باللغة العربية وأصبحت أبجديتها الحروف العربية وهذه أصبحت فيما

بعد اللغة الأوردية "اللغة الرسمية للباكستان، أفغانستان وهى خليط من التركية والفارسية والعربية لغة القرآن الكريم وكان أيضاً ساحل الملايبار غرب شبه القارة الهندية إبان القرنين الثالث عشر والرابع عشر المركز التجارى العالمى.

وكان التجار المسلمون سادته والمهيمنون عليه بالكامل وكان مصدرا رئيسيا لنشر الدعوة الإسلامية فى أرخبيل الملايو وبقية جزر المحيط الهندى وبحر الصين وخليج البنغال[1].

* * *

(١) تاريخ الإسلام بالهند.. حضارة وسماحة مقال للدكتور أحمد محمد عوف بمجلة منبر الإسلام يناير سنة ١٩٩٣م.

## المبحث الثالث

## "الإسلام فى الصين"

### الصين

الموقع: تقع الصين فى شرق أسيا وتبلغ مساحتها (٤,٣) مليون ميل مربع وهى بهذه المساحة تعد ثالث أكبر دولة فى العالم من حيث المساحة الجغرافية بعد روسيا، وكندا ولاتسعها الكبير فهى تطل على دول كثيرة :

فمن الشرق: يحدها الاتحاد السوفيتى، ومنغوليا، وكوريا الشمالية والبحر الأصفر وبحر الصين الشرقى.

ومن الغرب : كشمير وبوتان ونيبال والهند وهضبة التبت.

ومن الجنوب: بحر الصين الجنوبى وفيتنام ولاوس وبورما والهند جنوباً.

ومن الشمال: الاتحاد السوفيتى ومنغوليا مع هضبة جوبى وجبال كنجن الكبرى والصغرى.



السكان : يبلغ عدد السكان فى الصين ما بين الألف والألف وأربعمائة مليون حسب إحصائية عام ٢٠٠٠م.

ينقسم السكان إلى ثلاث مناطق شبه متباينة هى الصين، وسينكيانج، والتبت ففى الصين يتكلم السكان اللغة الصينية الرسمية وفى التبت اللغة التبتية بينما فى سينكيانج يتكلمون اللغة التركية الأسيوية القديمة.

وتنقسم البلاد إدارياً إلى (٢٥) ولاية ويوجد بها ٥٥ قومية[1] منهم عشر قوميات اسلامية هى: هوى - ويغور- قازاقان- أوزبك- غرغز - تاتار- تاجك- سالا- رونغ شيانغ- ياوان- موزعة فى كل أنحاء الصين. ويكثرون فى المناطق الشمالية الغربية والجنوبية الغربية.

(١) القومية: صلة اجتماعية عاطفية تنشأ من الاشتراك فى الوطن والجنس واللغة والمنافع وقد تنتهى بالتضامن والتعاون إلى الوحدة (المعجم الوسيط ج٢ ص ٧٦٨، ط دار المعارف المصرية.

### عدد المسلمين فى الصين:

يبلغ عدد المسلمين حسب إحصائية عام ٢٠٠٠م ما يقرب من ٧٠ مليون أو أزيد إلا أن الصينيين (الحكومة) لا تفصح بحقيقة العدد الحقيقى.

وهذا العدد يتمركز معظمه فى مقاطعة هوى إذ يبلغ المسلمون فيها ٣٠ ثلاثون مليوناً والباقى موزع فى أنحاء الصين[2].

ديانات الصين: ينتشر فى الصين عدة ديانات كانت موجودة عند

(٢ ) الصين ويأجوج ومأجوج عالم المجهول، ص ١٤٧، د/ عبد العزيز عبد الرحمن المسند، ط٢ الرياض سنة ٢٠٠٠، الأقليات المسلمة فى العالم ظروفها المعاصر آلامها وأمالها، ص ٤٣٣، مجلد (١) ط دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع عام ١٤٢٠، ١٩٩٩.

دخول الإسلام إليها فى القرن الأول الهجرى من هذه الديانات :

البوذية[١]، والكونفوشية، والطاوية، والوثنية.

الكونفوشيه: نسبة إلى الفيلسوف الحكيم كونفوشيوس الذى ظهر فى القرن السادس قبل الميلاد داعياً إلى إحياء الطقوس والعادات والتقاليد الدينية التى ورثها الصينيون عن أجدادهم مضيفاً إليها من فلسفته وآرائه.

معتقداتهم: يعتقدون بإله أعظم أو إله السماء ويتجهون إليه بالعبادة كما أن عبادته وتقديم القرابين إليه مخصوصة بالملك أو بأمراء المقاطعات. ويعتقدون أن:

- للأرض إله وهو إله الأرض ويعبده عامة الصينيين. وللشمس والقمر، والكواكب، والسحاب، والجبال لكل منها إله وعبادتها وتقديم القرابين إليها مخصوصة بالأمراء.

لا يؤمنون باليوم الآخر ولا بالجنة والنار، ولا بالجزاء والثواب.

الطاوية: إحدى الديانات الصينية الكبرى القديمة إذ ترجع إلى القرن السادس قبل الميلاد، ونشأت على يد لوتس المولود (٥٠٧ ق.م) وهو الأساس الذى قامت عليه الطاوية،

(١) نسبة إلى مؤسسها- (سدها رتاجوتاما) - الملقب ببوذا (٥٦٠- ٤٨٠ ق.م) نشأ على حدود نيبال المتاحة للصين- مال إلى الذهد والتأمل فى الكون ورياضة النفس، يرى أن آلام تتبع م الشهوات قد عاهم إلى تخليص أنفسهم من ذلك.

- يعتقد البوذيون أن بوذاهو ابن الله وهو المخلص للبشرية من حآسيها وآلامها، وأنه يتحمل عنهم جميع خطاياهم.

- ويعتقدون أن تجسد بوذا كان بواسطة حلول روح القدس على العذراء " مايا" (أنظر الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة، ص ١٠٧، عام ١٩٨٩م الندوة العالمية للشباب الإسلامى.



يعتقدون بإله ليس له صوت ولا صورة أبدى لا يفنى وجوده سابق وجود غيره وهو أصل الموجودات يؤمنون بوحدة الوجود[١].

## الفتح الإسلامى للصين:

لا نعرف على وجه الدقة متى دخل الإسلام البلاد الصينية لكن التواريخ الصينية تذكر أن أول دخول الإسلام فى الصين كان فى أيام حكم أسرة تانج (٦١٧ - ٩٠٧م) والتى عاصرت بعثة النبى محمد ﷺ وعصر الراشدين وعصر بنى أمية: وقد جاء ذكر الصين فى الحديث النبوى الشريف عن النبى ﷺ أنه قال: "إطلبوا العلم ولو فى الصين"[٢] والحديث وإن لم يرو بسند صحيح، فليس هناك ما يمنع أن يكون الرسول - ﷺ - عرف إسم هذه البلاد وذلك لأن الصلات التجارية بين بلاد العرب والصين كانت قد توطدت قبل مولده بزمن طويل. فكانت حاصلات الشرق التى تتلقاها بلاد الشام وموانئ البحر الأبيض تمر بنسبة هائلة عن طريق بلاد المعرب. وفى القرن السادس الميلادى كان بين الصين وبلاد العرب تجارة عن طريق سيلان[٣] وفى بداية القرن السابع كانت التجارة بين الصين وبين فارس وبلاد العرب لا تزال واسعة الانتشار[٤].

ويذكر بعض المؤرخين: أن الإسلام دخل الصين أول ما دخل مع

(١) الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة، ص ٣٥٧.

(٢) كنز العمال جـ٥ ص ٢٠٢.

(٣) سيلان من بلاد الهند أو سيلان والهند شىء واحد تقريبا وإن كانت السياسة جعلت منها بلدين وحكومتين، والذاهب إلى سيلان لابد وأن يمر على الهند. (تاريخ الإسلام فى الهند ص ٦٩). مصدر سابق.

(٤) الدعوة إلى الإسلام لأرنولد ص ٣٣١.

التجار الذين كانوا يسلكون الطريق البحرى القديم، وأن أول داخل من المسلمين إلى تلك البلاد رجل من عترة النبى ﷺ، يقال له ابن حمزة رحل إلى الصين مع جماعة من المهاجرين ونزلوا فى سنغافوره، وأنه جاء على أثرهم مسلمون آخرون من طريق البحر، وأقاموا بجهات يونان[1].

ويقول أرنولد: إن هناك نصوصا نثق بصحتها تشير إلى علاقات سياسية تبادلوها برا عن طريق بلاد الفرس[2]. ولا مانع من دخول المسلمين إلى هناك برا وبحرا.

أما تاريخ "كوانتنج" فيذكر قدوم أول من جاء من المسلمين إلى الصين على النحو الآتى: "فى عهد دولة تانج وفد على كانتون عدد كبير من الغرباء من مملكة أنام وكمبوديا وميدينا وبعض بلاد أخرى، وكان هؤلاء الغرباء يعبدون الله وليس لهم فى معابدهم تمثال ولا صنم ولا صورة. وكانت مملكة مدينا قريبة من مملكة الهند، وفيها نشأت ديانة هؤلاء الغرباء التى تختلف عن ديانة بوذا، وكانوا لا يطعمون لحم الخنزير ولا يشربون الخمر ويعتبرون الذبائح التى لا يذبحونها بأيديهم طعاما نجسا ويطلق عليهم الآن إسم هوى هوى، ولما استأذنوا الإمبراطور وحصلوا منه على إذن بالإقامة فى كانتون، بنوا لأنفسهم المساجد على هيئة دور جميلة من طراز يختلف عن ذلك الذى كان فى بلادنا، وأنشئوا لأنفسهم جالية زاهرة وكانت لهم ثروة عظيمة واتخذوا لهم رئيسا منهم دانوا له بالطاعة، وأطلق عليهم أهل الصين لقب هوى هوى. وفى عهد الوليد

(١) المصدر السابق ص ٣٣٢، الإسلام ظهوره وانتشاره فى العالم حامد عبد القادر ص ٢٦٨.

(٢) الدعوة إلى الإسلام ص ٣٣٢.



بن عبد الملك (٨٦ : ٩٦هـ) (٧٠٥ - ٧١٥م) عبر قتيبة بن مسلم نهر سيحون وتخطى الحدود الغربية لدولة الصين[1]، وأخضع بخارى وسمرقند ومدنا أخرى، ومضى قدما فى فتوحاته حتى وصلت إلى الحدود الشرقية للإمبراطورية الصينية.

وأرسل قتيبة بن مسلم الباهلى فى سنة ٧١٣م رسلا إلى الإمبراطور فصرفهم بهدايا ثمينة، ومفتاح من ذهب وأعطاه الطاعة ودعاه إلى نزول بلاده[2]. ولم يفعل ذلك الإمبراطور مع قتيبة قائد الجيش الإسلامى إلا لسابق علمه عن هذا الجيش وما يدعو إليه من دين جديد ودعوة حسنة[3] وعندما دخل قتيبة ابن مسلم مدينة سمرقند سنة ٩٣هـ واشترط أن يبنى مسجدا فيها، ووجد عددا كبيرا من الأصنام فى مدينة سمرقند والناس مصرون على بقائها لعقيدتهم أن من يقترب من هذه الأصنام تهلكه، وكان معه جماعة من المسلمين فيهم الضحاك بن مزاحم صاحب التفسير، فلم يزالوا بالناس حتى اقنعهم أن هذه خرافات وأباطيل يجب أن تمحى وصمم أن يحطم الأصنام بيديه ويحرقها ليريهم بطلان معتقدهم وأنه لم يهلك ولم يصب بسوء كما كانوا يتوهمون، فلما رأى الناس ذلك أن هذه الأصنام لا تنفع ولا تضر، فأسرع الكثير

(١) الإسلام الفاتح ص ٦٧، الدعوة إلى الإسلام ص ٣٣١، ٣٣٢.

(٢) فتوح البلدان ص ٥١٦، ٥١٧.

(٣) ينبغى أن نعلم هنا أن بلاد ما وراء النهر دخلها عبيد الله ابن زياد وإلى معاوية على خراسان فقطع النهر وأتى بيكند، وبخارى ورامدين، وتنسب إلى بيكند ورجع إلى البصرة ومعه خلق من أهل بخارى فقسمهم على الفاتحين كموالى لهم يعيشون معهم فى مخالطة تامة، لابد أن هؤلاء قد اعتنقوا الإسلام أو معظمهم وفرض لهم من العطاء. انظر فتوح البلدان ص ٥٠٧.

منهم الى اعتناق الإسلام[١] ولقد تركت هذه الحادثة أثرا كبيرا فى نفوس الناس، وأخذت تتردد بينهم فى مدن كثيرة أخرى، فأسلم كثير من أهلها وبعد عام واحد من فتح سمرقند كان جيش قتيبة يضم عشرين ألفا من أهل بخارى وكش ونسف وغيرهم[٢]. لما وجدوا فى الإسلام من دعوة خالصة لتوحيد الله عز وجل، وأنه دين سمح عادل رحيم يدعو إلى المساواة بين الناس جميعا، وإلى عزتهم وكرامتهم، فأقبلوا على اعتناقه عن طواعية واختيار، ولا شك أن فساد الأحوال الدينية فى بلادهم قد شجعهم على ذلك[٣].

يقول المستشرق المجرى أرمينيوس فاميرى: إن بخارى التى قاومت العرب فى البداية مقاومة عنيفة، قد فتحت لهم أبوابها لتستقبلهم "ومعهم تعاليم نبيهم، تلك التعاليم التى قوبلت أول الأمر بمعارضة شديدة، ثم أقبل القوم من بعد ذلك عليها فى غيرة شديدة حتى لترى الإسلام الذى أخذ شأنه اليوم يضعف فى جهات آسيا الأخرى، وقد غدا فى بخارى اليوم سنة ١٨٧٣م على الصورة التى كان عليها أيم الخلفاء الراشدين.

وهكذا أخذ الإسلام ينتشر بين سكان أمهات المدن فيما وراء النهر، وكان الفاتحون المسلمون يشجعون الناس على اعتناق الإسلام بالدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، بجانب بناء المساجد لأداء شعائر الإسلام، وقيام الدعاة فيها بتعريف الناس بالإسلام، وشرح مبادئه، ونشر الثقافة الإسلامية وتعليم اللغة العربية[٤].

---

(١) أنظر فتوح البلدان ص ٥١٨ بتصرف وانظر أيضاً الدعوة إلى الإسلام لأرنولد ص ٢٤٣.

(٢) تاريخ الطبرى جـ٦ ص ٤٨٣.

(٣) فتوح البلدان ص ٥١٨، الطبرى ج٦ ص ٤٧٥ – ٤٧٦.

(٤) تاريخ بخارى ص ٦٧، ١٥٤ ترجمة الدكتور أحمد الساداتى المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٦٥م.



وعندما اجتاحت عالم الإسلام موجة الغزو المغولى، هاجرت إعداد كبيرة من المسلمين العرب والفرس، والأتراك وغيرهم إلى الإمبراطورية الصينية، واستقرت هناك، واندرجت فى أهل البلاد ونشرت الإسلام وظهر من بينها رجال كسبوا ثقة المغول، فولوهم مناصب رفيعة فى الدولة، من أمثال رجل يسمى عبد الرحمن تولى رئاسة بيت مال الدولة سنة ١٢٤٤.

وعندما اعتلى "قبلاى خان" العرش (سنة ١٢٥٩) عهد إلى مسلم من أهل بخارى يسمى "عمر شمس الدين" أو محمد شمس الدين" - المشهور بالسيد الأجل – فى إدارة أموال الإمبراطورية ثم أقامه حاكما لمقاطعة يونان، وكان رجلا حكيما يعرف كيف يستميل قلوب الناس، فبنى مساجد كثيرة، وكذلك بنى معابد كونفوشيوسية عديدة[١].

وقد واصل أبناء السيد الأجل تقليد أبيهم فى توطيد دعائم الدين الإسلامى فى الصين، وبالحكمة والموعظة الحسنة والخلق العظيم إستطاع حفيد للسيد الأجل أن يحصل من الإمبراطور سنة ١٣٣٥م على اعتراف منه بأن الإسلام هو الدين الحق الخالص. الذى يجب اعتناقه.

أذن الامبراطور (فى سنة ١٤٢٠م لشخص آخر من أحفاد السيد الأجل فى بناء مساجد فى عاصمتى الدولة مهما "سنجان – فو" "تانكين")[٢].

---

(١) ذلك لأن الحاكم الأعلى ليس مسلما والحكم ليس للإسلام لأن الغالبية العظمى غير مسلمة فمن الحكمة فى الدعوة أن يستخدم هذا الأسلوب لتوطيد الحكم ونشر الإسلام بطريقة سليمة حتى يصبح الحكم للإسلام. وهذا من سماحة الإسلام أيضا.

(٢) الدعوة إلى الإسلام ص ٣٣٤، ٣٣٥.

وقد ظل الإسلام يحتفظ بهذا الوصف وهذه المكانة فى الصين حتى قيام الثورة الشيوعية هناك.

وكذلك وصف ابن بطوطة، - الذى زار عدة مدة ساحلية فى الصين فى منتصف القرن الرابع عشر، ولقى ترحيبا حارا من إخوانه المسلمين هناك - يحدثنا ويقرر أن فى كل مدينة من مدن الصين. حيا للمسلمين ينفردون يسكناه ولهم فيها مساجد عامرة لإقامة الشعائر وصلاة الجمعات، وهم معظمون محترمون فى كل بلد من بلاد الصين"[1].

وكان للعرب والفرس المسلمين الذين استقروا فى الصين مكانة مرموقة فى تجارة الصين فى عصر أسرة تانج هذه. وعندما انتقل الحكم إلى أسرة سونج (٣٤٩ - ٦٧٨هـ) (٩٦٠ - ١٢٧٩م) كانت كوانج تشاو أكبر مراكزهم.

وكان لهم فيها حى كبير فيه سوق ضخم، وأنشأت حكومة الصين إدارة خاصة للتجارة البحرية، ومراقبة الموالى وتحصيل الضرائب، وكان يشغل هذا المنصب دائماً رجل من المسلمين.

وبينما كان الإسلام يثبت أقدامه على سواحل الصين الجنوبية - بواسطة التجار عن طريق الملاحة البحرية - دخل الإسلام الصين من ناحية الشمال الغربى عن طريق البر. ودخلت فى الإسلام قبائل هسيونج فو، الضاربة فى مداخل الصين الغربية من ناحية حوض التاريم. وفى سنة (١٣٨هـ/٧٥٥م) قامت ثورة على الإمبراطور هوان تسونج - هزتاتج فاضطر إلى اللجوء إلى "سشوان"[2] والتحصن

(١) الدعوة إلى الإسلام ص ٣٣٦ نقلا عن رحلة ابن بطوطة المجلدس الثالث ص ٢٧٥، ٢٨٣ (طبع أوربا).

(٢) أو سنوات كما يذكر البلاذرى = قصر الأحنف حصن من مرو الروذ.



فيها، فأرسل يستنجد بمسلمى شمال غربى الصين، فسارعوا بإرسال قوة من ثمانية آلاف رجل أنجدته، وتعبيرا عن شكره للمسلمين خيرهم بين البقاء فى بلاده أو العودة فاختاروا كلهم البقاء، فقدم إليهم الأموال وزوجهم بصينيات وأعطاهم أرضا وبنى لهم بيوتا ومن أولاد هؤلاء نشأت الجاليات الإسلامية الضخمة فى شمال شرقى الصين.

ولما تحسنت علاقات قبائل هسيونج نومامبراطور الصين، إزداد تدفق المسلمين من الفرس والأفغان على الصين، وانتقل الكثيرون منهم إلى العاصمة، وزاد انتشار الإسلام بين الصينيين أنفسهم[1].

## إزدهار الإسلام فى الصين:

تمتع الإسلام فى الصين بقبول حسن - لما يحمل من مبادئ قيمية، وتعاليم رفيعة - ولقى المسلمون ترحيبا ومعاملة طيبة - لما تمتعوا به من حرصهم على التمسك بآداب الإسلام وتعاليمه وتوجيهاته، وما اتصفوا به من خلق طيب، وسلوك حميد - طوال عصر أسرة تانج التى انتهت سنة (٣٤٩هـ/٩٦٠م) فلما خلفتها أسرة سونج ازدادت التجارة ازدهارا وتزايد توافد المسلمين على الصين، وأصبحت كل تجارة الصين مع بقية بلاد الشرق وأوربا فى أيدى المسلمين فعرفت أوربا حرير الصين وخزفها وتحفها وصناعاتها الدقيقة عن طريقهم، وحملوا إليها متاجر أوربا وغربى أسيا وكبرت جاليات المسلمين فى بلاد الصين، وانتشر الإسلام فى الصين أكثر وأكثر. ونظرا لما امتاز به المسلمون من خلق طيب، وأمانة والتزام بالقوانين، فقد نالوا احترام الشعب الصينى وحكامه، وتبعا لذلك زاد انتشار الإسلام واتسع.

(١) الإسلام الفاتح ص ٦٩ د. حسين مؤنس ط الزهراء للإعلام العربى، عام ١٩٨٧.

وأعقبت دولة سونج دولة يوان – وهى دولة غريبة عن الصين – أنشأها خلفاء جنكيز خان، عندما قسمت الإمبراطورية بين أولاده بعد وفاته. فكانت الصين ومنغوليا من نصيب قبلاى خان فأنشأ أسرة يوان ويقول المؤرخ رشيد الدين فضل فى كتابه "جامع التواريخ" إنه فى عصر الأسرة المغولية كانت الصين مقسمة إلى اثنى عشرة ولاية، لكل منها حاكم ونائب حاكم وإن ثمانية من بين الحكام كانوا مسلمين.

وهذا يدل على القوة التى وصل إليها المسلمون فى عصر أسرة يوان. والتى دامت حوالى تسعين عاماً تقريباً.

ثم خلفتها أسرة (منج) التى حكمت ثلاثة قرون تقريبا.

وفى عهد هذه الأسرة ازداد انتشار الإسلام حتى أصبح من أديان الصين الكبرى.

وظل المسلمون يعيشون وفق نظامهم الخاص، دون اندماج كبير ببقية السكان من غير المسلمين، وكانت لغتهم عربية صينية وعاداتهم إسلامية ثم أخذوا يندمجون فى السكان ويتخذون اللغة والعادات الصينية، ولم يعد من الممكن التفريق بينهم وبين بقية الصينيين. حتى أنهم أعطوا أسماءهم الإسلامية طابعا صينيا: فمن ذلك أن كل مسلم يبدأ اسمه بحرف م مفتوحة سمى نفسه "ما" وهو لفظ صينى شائع فتسمى به من كان اسمه محمود، أو مسعود، أما محمد ومراد، ومصطفى فقد اتخذ إسم "مو" بضم الميم فى أول الاسم وحسين تسمى باسم "هو" ومن كان اسمه مركبا مع لفظ الدين مثل خير الدين وشمس الدين تسمى (تنج) ومن كان اسمه سعيدا تسمى باسم "ساى" وعيسى وأمين تسميا باسم "آى" وهكذا.



وفى عهد أسرة "منج" حدث تطور جديد، وهو أنهم خافوا على بلادهم من الغزو الخارجى كغزو المغولى جنكيز خان. فأغلقوا أبواب بلادهم، وساروا على سياسة الانعزال، فانقطعت الصلة بين مسلمى الصين وإخوانهم خارج الصين، فأخذوا يندمجون فى أهل البلاد، وأقبلوا على الزواج من الصينيات، فنشأ أولادهم صينيين مسلمين، وكان هذا مما ثبت أقدام الإسلام فى الصين، وقد لقى أولئك المسلمون الصينيون كرامة وتكريما كبيرا من مؤسس دولة "منج" وهو الامبرطور هونج، فمنحهم امتيازات كثيرة وشجعهم على انشاء المساجد فزاد عددها زيادة كبيرة فى كل نواحى الصين، خلال عصر هذه الأسرة (١٣٦٨ – ١٦٤٤م)، وقد زادت الصلات بين الملوك والأفراد المسلمين حتى شجع أحدهم وهو الشاه "رخ" يهادره – سلطان التركستان المتاخمة للحدود الصينية الغربية – أن يكتب إلى امبراطور الصين يدعوه إلى الدخول فى الإسلام واغتنام تلك السعادة باعتناقه دين الإسلام وذلك فى خطابين طويلين ذكرهما صاحب "الدعوة إلى الإسلام"[1] فليرجع إليهما من شاء.

ويقرر المنصرون الكاثوليك فى القرن التاسع عشر أن عدد المسلمين فى الصين زاد زيادة عظيمة، ويرجعون هذه الزيادة إلى أن المسلمين الصينيين يحاولون العيش فى سلام مع غيرهم ولهذا يتحاشون القيام بنشاط واسع فى مجال الدعوة مخافة إثارة شكوك كهنة البوذيين، وإنما كانت أعدادهم تزيد نتيجة لزواجهم من الصينيات

---

(١) للسير توما آرنولد ترجمة حسن إبراهيم وآخرين ص ٣٣٧.

أن الإسلام انتشر بالسيف بين تلك البلاد فأين السيف من هذا كله.

كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا.

* * *

## المبحث الرابع

## الإسلام فى روسيا

الإتحاد السوفيتى شىء، وروسيا شىء آخر، إنهما فى المجال العلمى والدولى شىء واحد، ولكنهما من ناحية الواقع والتاريخ شيئان مختلفان.

كانت روسيا دويلة محدودة المساحة والقدرة. تقع فى الركن الشمالى الشرقى من أوربا، ولا تزيد أرضها على مليونى كيلو متر مربع وهى سهول فسيحة تقوم فيها بعض التلال التى تعد مركز تقسيم المياه.

وقد أخذت روسيا إسمها من تلك الأراضى التى إنتشر فيها الروس السلاف فى القرون الأولى للميلاد إذ شملت:

منطقة ينتشر فيها الروس الكبار حول قاعدتهم "موسكو" وأخرى ينتشر فيها "الأوكران" الذين يتوزعون فى الجنوب الغربى حول عاصمتهم "كيف".



وثالثة للروس البيض الذين يقيمون فى الغرب حول حاضرتهم "منسك". وكانوا يدينون بالوثنية، وكانت تجاورها من جميع الجهات قبائل قليلة العدد، وعندما جاء التتار فى القرن السابع الهجرى (١٣م) استقرت بعض قبائلهم فى المناطق الشرقية والجنوبية، ففرضوا سيطرتهم على الروس وتقدموا نحو الغرب وبعد مدة تزايد عدد الروس إذ كانوا يومذاك كثيرى النسل وضاقت بهم الأرض فانتهزوا فرصة وهن التتار فشرعوا يتوسعون فى الأرض حتى وصلوا إلى جبال الأورال فى الشرق وسواحل البحر الأسود فى الجنوب، وضموا نتيجة هذا التوسع مناطق إسلامية، وقد أطلق على المنطقة جميعها إسم روسيا: وهى منطقة ذات رقعة فيحاء بعيدة المدى.

أما الإتحاد السوفيتى فيطلق على تلك المساحة الشاسعة التى احتلها الروس بقوة الحديد والنار وسلبوها من أيدى المسلمين حتى صارت تطل على البلطيق غربا، وعلى المحيط الهادى شرقا، وحتى بلغ حجم هذه الأرض الآن خمسة عشر ضعفا من حجمها الأول[1].

فتشغل مساحة قدرها (٢٠٠، ٤٠٢، ٢٢) كيلو متر موزعة على قارتى آسيا وأوربا وهذه المساحة تعادل سدس اليابس تقريباً على سطح الأرض.

ويبلغ عدد سكانه الآن ما يقرب من "٣٠٠" مليون ويشكل المسلمون ربع سكانه تقريباً (٧٥ مليونا) ويعيش ٧٥% من مسلمى الإتحاد السوفيتى فى آسيا الوسطى (تركستان الغربية) ويبلغ طول الأراضى السوفيتية بين بحر البلطيق

---

(١) الإسلام فى وجه الزحف الأحمر ص ١٠٧ للشيخ محمد الغزالى ط المختار الإسلامى.

أن الإسلام انتشر بالسيف بين تلك البلاد فأين السيف من هذا كله.

كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا.

* * *

## المبحث الرابع

## الإسلام فى روسيا

الإتحاد السوفيتى شىء، وروسيا شىء آخر، إنهما فى المجال العلمى والدولى شىء واحد، ولكنهما من ناحية الواقع والتاريخ شيئان مختلفان.

كانت روسيا دويلة محدودة المساحة والقدرة. تقع فى الركن الشمالى الشرقى من أوربا، ولا تزيد أرضها على مليونى كيلو متر مربع وهى سهول فسيحة تقوم فيها بعض التلال التى تعد مركز تقسيم المياه.

وقد أخذت روسيا إسمها من تلك الأراضى التى إنتشر فيها الروس السلاف فى القرون الأولى للميلاد إذ شملت:

منطقة ينتشر فيها الروس الكبار حول قاعدتهم "موسكو" وأخرى ينتشر فيها "الأوكران" الذين يتوزعون فى الجنوب الغربى حول عاصمتهم "كيف".



وثالثة للروس البيض الذين يقيمون فى الغرب حول حاضرتهم "منسك". وكانوا يدينون بالوثنية، وكانت تجاورها من جميع الجهات قبائل قليلة العدد، وعندما جاء التتار فى القرن السابع الهجرى (١٣م) استقرت بعض قبائلهم فى المناطق الشرقية والجنوبية، ففرضوا سيطرتهم على الروس وتقدموا نحو الغرب وبعد مدة تزايد عدد الروس إذ كانوا يومذاك كثيرى النسل وضاقت بهم الأرض فانتهزوا فرصة وهن التتار فشرعوا يتوسعون فى الأرض حتى وصلوا إلى جبال الأورال فى الشرق وسواحل البحر الأسود فى الجنوب، وضموا نتيجة هذا التوسع مناطق إسلامية، وقد أطلق على المنطقة جميعها إسم روسيا: وهى منطقة ذات رقعة فيحاء بعيدة المدى.

أما الإتحاد السوفيتى فيطلق على تلك المساحة الشاسعة التى احتلها الروس بقوة الحديد والنار وسلبوها من أيدى المسلمين حتى صارت تطل على البلطيق غربا، وعلى المحيط الهادى شرقا، وحتى بلغ حجم هذه الأرض الآن خمسة عشر ضعفا من حجمها الأول[1].

فتشغل مساحة قدرها (٢٠٠، ٤٠٢، ٢٢) كيلو متر موزعة على قارتى آسيا وأوربا وهذه المساحة تعادل سدس اليابس تقريباً على سطح الأرض.

ويبلغ عدد سكانه الآن ما يقرب من "٣٠٠" مليون ويشكل المسلمون ربع سكانه تقريباً (٧٥ مليونا) ويعيش ٧٥% من مسلمى الإتحاد السوفيتى فى آسيا الوسطى (تركستان الغربية) ويبلغ طول الأراضى السوفيتية بين بحر البلطيق

---

(١) الإسلام فى وجه الزحف الأحمر ص ١٠٧ للشيخ محمد الغزالى ط المختار الإسلامى.

والمحيط الهادى حوالى ١٠ آلاف كيلو متر، وعرضها يتراوح بين (٣٠٠٠ - ٤٥٠٠) كيلو متر، وأصبح الاتحاد السوفيتى مكونا من ١٥ جمهورية منها ست جمهوريات المسلمون يشكلون الغالبية العظمى فيها هذا بالإضافة إلى الأقاليم الملحقة بالخمس عشرة جمهورية ولقد استولى السوفيت على مساحة (٤,٥٣٨,٦٠٠ كم) من البلاد الإسلامية وهذه البلاد التى استولى عليها السوفيت من الأراضى الإسلامية فى قارة آسيا هى: (أذربيجان، أوزبكستان، كاجيكستان، تركمانستان، فازاكستان، قرغيزي) (جورجيا أرمينيا) والست الأولى ذات أغلبية مسلمة والأخيرتان كانتا تابعتين لحكم إسلامى خلال فترات مختلفة[1]. هذا بالإضافة إلى منطقة سيبيريا التى تعتبر أكبر أقاليم العالم مساحة.

وهى تتبع جمهورية روسيا الاتحادية. وتضم الجمهوريات الإسلامية معظم المواد الخام بالاتحاد السوفييتى حيث الغنى فى المواد الطبيعية لدرجة السيطرة على معظم الخامات فينتج من البلدات الإسلامية بوسط آسيا والقوقاز أكثر من ٥٠% من (نفط) الإتحاد السوفيتى ٩٥% من (اليورانيوم) ٧٦% من النحاس، ١٠٠% من الزنبق، ٨٦% من الرصاص والقصدير ٩٠% من معدن الكروم، ٧٨% من (الصوف) ٩٦% من الحرير المنتج من الإتحاد السوفيتى وأكثر من ٣٧% من خام الحديد، ٣٧% من (الفحم السوفيتى).

(١) المسلمون فى المعسكر الشيوعى ص ٦٨ لمنتصر الكنانى. الأقليات المسلمة فى العالم (المسلمون فى الاتحاد السوفيتى). هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية.



## جمهورية أذربيجان:

هى إحدى الجمهوريات الإسلامية، وكانت إقليما كبيرا من أقاليم بلاد فارس تغلب عليه الجبال ويقع شمال إيران على بحر الجزر بعضه فى إيران وبعضه فى الاتحاد السوفيتى. لكنها استقلت وتأسست فى عام سنة ١٣٣٩هـ (١٩٢٠م) ثم اتحدت مع جمهورية روسيا خلال الفترة من ١٣٤١هـ إلى عام ١٣٥٥هـ (١٩٢٢م - ١٩٣٦م) إلى أن أصبحت جمهورية اتحادية فى نطاق الإتحاد السوفيتى فى عام ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م).

## موقعها:

تقع أذربيجان فى الجنوب الشرقى من منطقة قفقاسيا وتشرف على جزء كبير من الساحل الغربى لبحر قزوين وتمتد أراضيها داخله فيما يعرف بشبه جزيرة (بشيروت).

## مساحتها:

ومساحة أذربيجا ٨٦,٦٣٠ كم، وضمن هذه المساحة الأراضى التابعة لها فى حكم ذاتى مثل جمهورية (ناختشفان) وإقليم قرة باخ.

وعاصمة أذربيجان هى "باكو"س على بحر قزوين وعدد سكانها ١,٤٦,٠٠٠ تقريباً، ويحدها من الغرب جمهورية أرمينية[1] ومن الشمال الغربى جمهورية جورجيا، ومن الشمال جمهورية داغستان وكل هذا من جمهوريات الاتحاد السوفيتى.

ولأذربيجان حدود مشتركة مع إيران.

## سكانها:

يبلغ عدد السكان ثمانية ملايين نسمة تقريباً فى أول سنة

(١) أرمينية: إقليم واسع يقع شرق بحر الجزر وغرب وادى الفرات أصبح منه قسم كبير منه فى تركيا الشرقية، وقسم فى ايران وقسم فى الاتحاد السوفيتى (فتوح البلدات ص ٦٨٥).

(١٤١٢هـ - ١٩٩١م) ويتكون السكان من الأذربيجان ونسبتهم ٧٤% والباقين من الأكراد فى سفوح جبال أذربيجان، ثم التتار الذين يسكنون عند مصب نهر كورا وفى مدينة باكو، وهناك مستعمرون روس أيضا.

## اللغة:

الأذربيجانية هى اللغة السائدة بين السكان وهى لغة تركية وهى اللغة الأولى، يليها فى المرتبة الثانية اللغة الروسية وهناك إلى جانب ذلك لغات أخرى كالأرمنية، والجورجية تتكلم بها بعض الأقليات.

## نسبة المسلمين:

ويدين بالإسلام فى أذربيجان نحو ٧٨% من مجموع السكان وعنصر الأذربيجانيين كلهم مسلمون، بينهم من الشيعة نسبة كبيرة، أما ديانات الأقليات ففى مقدمتها النصرانية، ويعتنقها الأرمن، والجورجيون، ثم اليهودية ويعتنقها فئة قليلة منهم أيضا، ويتولى الإشراف على أمور المسلمين الدينية مجلس من المسلمين فى كل منطقة - (طشقند، أوزبكستان، وغستان وأوفا، باشكيريا، ويونياكسك).

ويرأس كل من هذه المجالس المفتى العام للمسلمين فى المنطقة.

## الإقتصاد:

الزراعة هى دعامة اقتصاد أذربيجان وتتمثل فى (الحبوب) و(القطن) و(الشاى) الذى يزرع فى السهول المطلة على بحر قزوين، كما يزرع العنب، والعديد من أصناف الفاكهة والحمضيات، والخضر،ويشتغل بعض السكان بالرعى ولذلك قامت صناعة الصوف واللحوم.

وهى منطقة غنية بالبترول والغاز الطبيعى والرواسب المعدنية، المشتملة على خامات الحديد، والبوكسايت وغيرها ولهذا توجد صناعات عديدة للحديد والصلب والآلات الثقيلة ومشتقات البترول[١].

## متى وكيف وصل الإسلام إلى أذربيجان:

بعد معركة نهاوند وفتحها للإسلام فى عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه والتى سميت بفتح الفتوح[٢].

لقضائها على الإمبراطورية الساسانية[٣]، ولم تقم للفرس بعدها قائمة ولم يكن لهم بعد ذلك اجتماع، وملك المسلمون بلادهم، إنساح المسلمون يفتحون البلاد باسم الله حتى بلغوا بلاد القفقاس سنة ٢٢

(١) المسلمون فى الاتحاد السوفيتى، البلدان الإسلامية ص ٣٢٠ الإسلام والمسلمون فى الاتحاد السوفيتى د/محمد عبد العليم العدوى.

(٢) فتوح البلدان ص ٣٧٤.

(٣) نسبة إلى ساسان أحد ملوك الفرس ومؤسس الإمبراطورية الساسانية.



هـ/ سنة ٦٤٤م فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

وذكر ابن الأثير إن الجيش الإسلامى لما اجتمع إلى نهاوند - (من بلاد الجبل جنوبى همذان) - فى مائة وخمسين الف مقاتل أرسل سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه - وكان أميرا على الكوفه - إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يخبره بذلك - وقال له إن أهل الكوفة يستأذنونك فى أن يبدأوا العدو بالشدة - ليكون أهيب لهم على عدوهم[٤] - فأتى عمر رضى الله عنه بالهرمزان يشاوره - وكان فارسيا قد أسر فأمنه - وقال له ما ترى؟ أيبدأ بإصبهان أو بأذربيجان؟ فقال الهرمزان: إن فارس اليوم رأس وجناحان: نهاوند الرأس، أصبهان واذربيجان الجناحان فابدأ

(٤) الكامل فى التاريخ جـ٣ من ص ٥: ١٦ بتصرف.

بالجناحان يهن الرأس: فقال عمر لا بل أعمد إلى الرأس فأقطعه، فإذا قطعه الله لن يعصى عليه الجناحان[١].

وفتحت نهاوند، ووصلت طلائع الجيش الإسلامى إلى اذربيجان ففتحها بقيادة المغيرة بن شعبة سنة ٢٢هـ، لكن أهلها كفروا بعد ذلك فغزاها الأشعث بن قيس - رضى الله عنه - وصالحهم على صلح المغيرة، لكنهم نقصوا الصلح عام ٢٥ هـ فوجه اليهم الخليفة الراشد عثمان بن عفان - رضى الله عنه - (الوليد بن عقبة بن أبى معيط) عامله على الكوفة ففتح اربيجان وطلب أهلها الصلح فصالحهم. وولى الأشعث بن قيس على أربيجان وأمره بجيش عظيم من أهل الكوفة لتأمين فتح أربيجان، فأسكنها ناسا من أهل العطاء والديوان من العرب - وأمرهم بدعاء الناس إلى الإسلام. ثم تولى بعده (سعيد بن العاصى) على أربيجان - فلما تولى الإمام على بن أبى طالب - الخليفة الراشد رضى الله عنه - الخلافة ولى (الأشعث أذربيجان، فلما قدمها وجد أكثرها قد أسلموا وقرأوا القرآن، فأنزل أردبيل[٢] من أهل العطاء والديوان من العرب ومصرها وبنى مسجدها إلا أنه وسع بعد ذلك. ووصلت الفتوحات الإسلامية مسيرتها فى الفتح حتى بلغت وشملت جميع بلاد شروان من الداغستان، كما شملت بلاد الأرمن والكرج وأصبحت مدينة (تفليس)[٣] قاعدة الحكم الإسلامى فى المنطقة واضطلع الولاة بدعوة الناس إلى

(١) انظر المصدر السابق، وفتوح البلدان ص ٣٧١ ، ٣٧٢.

(٢) مدينة تتبع أذربيجان على بعد ٦٤ كيلو مترا شرقى تبرتر ببلاد فارس.

(٣) مدينة شهيرة فى أرمينية وتقع اليوم فى بلاد القوقاز فى الاتحاد السوفيتى.



الإسلام، واستمر الإسلام ينتشر حتى بلغ (قيرطاى) ثم (كوبا) حالياً وكانت تعرف فيما قبل (بالدربند) ووصلت الفتوحات إلى بلاد الداغستان بقيادة (مسلمة بن عبد الملك) أخو هشام وصالح أهلها وسالمه ملوك الجبال وفتح مدينة باب والأبواب (بلاد الخزر)[١]، وواصل مروان بن محمد الفتوحات. فأظهر عظيم الخزر الإسلام ووادع مروان على أن أقره فى مملكته، وتابع مروان الفتح وأقام الثغور على بحر الخزر "قزوين" لتكون قواعد لحماية ديار الإسلام من جهة ومنطلقا لنشر الدعوة الإسلامية فى تلك الأرجاء من جهة أخرى[٢]. وهكذا أصبح العالم الإسلامى مستقرا بقفقاسيا فى عهد الدولة الأموية فى أوخرها - وانتشرت اللغة العربية خلف الإسلام حيث أخذت العناصر العربية المهاجرة فى دعمها، وبذلك أصبح إنتشار الإسلام أسرع فى منطقة أذربيجان من غيرها.

وفى عهد العباسيين استمر ازدهار الدعوة الإسلامية وتولى منطقة الحدود الشمالية (يزيد بن أسيد) السلمى وذلك فى خلافة (أبى جعفر المنصور) واتخذ من أذربيجان قاعدة لمد الإسلام إلى الشمال[٣]، وظهرت أسر وطنية برزت فى حكم أربيجان فى مستهل القرن الخامس الهجرى وزادت هجرات المسلمين إليها، وأصبحت أربيجان قاعدة ومنبع اسعاع لبث الدعوة الإسلامية فى المنطقة، حتى تولى أمرها القائد العباسى (يفا الكبير) واهتم بنشر

(١) بلاد الترك خلف باب الأبواب وهى الآن جنوب الاتحاد اسوفيتى (فتوح البلدان فى التراجم).

(٢) جمع ثغر وهى فتحات يمكن للعدو أن يدخل منها فجعل عليها الحماية والجند.

(٣) فتوح البلدان للبلاذى ص ٢٠٩، ٢١٣، ٣١٧، ٣٢٥.

الإسلام وبث الدعوة الإسلامية فى هذه المناطق. وفى سنة ٥٣١هـ ١١٣٦م أصبحت اذربيجان من الأتابك ايلدكوز، ثم غزاها جلال الدين خوارزم شاه فى سنة ٦٣٢هـ - ١٢٢٥م - ثم حكمها المغول فى سنة ٦٥٤هـ - ١٢٥٦م وأصبحت جزءا من أمبراطوريتهم ثم - أصبحت من أهم معاقل الصوفية فى سنة ٩١٧هـ سنة ١٥٠٢م[١] وبعدهم حكمها العثمانيون حكما إسميا[٢].

وظلت أذربيجان تحت الحكم الإسلامى منذ ذلك العهد إلى بداية القرن التاسع عشر الميلادى عندما بدأت روسيا تحتل أجزاء من القوقاس، ومن أربيجان، وقد خضعت أربيجان لحكم روسيا القيصرية، وحولتها إلى مجموعة من الخانيات الصغيرة المتنافسة، ليسهل إبتلاعها والقضاء عليها، ورغم مقاومة أهلها وحكامها المحليين مقاومة باسلة ضد الروس - إلا أن روسيا فى عام سنة ١٢١٦هـ - ١٨٠١م فرضت حمايتها على القوقاز، وجورجيا (بلاد كرج أو الشراكسة وهاجموا خانية كنجة فى أربيجان، ودافع ملكها (جوادخان) مدافعة شديدة وأظهر بطولات قوية فقد استشهد فى المعركة مع ألفين من جنوده البواسل، وكانت المعركة لصالح القوات الروسية الضخمة، وغيروا اسم كنجة إلى "اليزاوتيل" اسم زوجة القيصر الكسندر الأول وتوالى بعد ذلك سقوط خانيات[٣] أذربيجان

(١) انتشار الإسلام حول بحر قزوين ص ٢٤٤. حامد غنيم.

(٢) أنظر الأقليات المسلمة فى آسيا واستراليا لسيد بكر ص ٣٣٤، ٣٣٥. دائرة المعارف الإسلامية كتاب الشعب جـ١ ص ٣٠ بتصرف بسيط.

(٣) الخانيات: مقاطعات صغيرة.



واحدة إثر الأخرى: فسقطت: خانتا باكو وكويا سنة ١٢٢١ هـ سنة ١٨٠٦م.

وخانية شكى سنة ١٢٣٠هـ سنة ١٨١٥م.

وخانية شماص سنة ١٢٣٦ هـ سنة ١٨٢٠م.

وخانية قارابغ سنة ١٢٣٨هـ سنة ١٨٢٢م.

وقاوم الأهالى مقاومة عنيفة ودافعوا دفاعا مستميتاً، واغتالوا القائد الروسى الجنرال سيساتوف لكن هذا لم يعد شيئا - أمام القوات الروسية الضخمة فى عددها وعتادها - بل أدى ذلك على مزيد من البطش بهم، ومصادرة أملاكهم وأراضيهم من جانب الروس، ولم تهدأ الثورات ضد الروس منذ ذلك الوقت، حتى قامت ثورة فبراير سنة ١٢٣٦هـ سنة ١٩١٧م فى روسيا قبل استيلاء البلاشفة عليها وتحويلها لصالحهم فى أكتوبر من نفس العام، وانعقد مؤتمر مسلمى روسيا من (١-١١) مايو وقدموا مشروع الاستقلال الداخلى لمسلمى روسيا ضمن كيان روسيا الفيدرالية، وقدم المشروع (محمد رسول زاده) ووافق عليه المؤتمرون بأغلبية ساحقة.

وسقطت ثورة فبراير سنة ١٣٣٦هـ سنة ١٩١٧م واستولت عليها قوات لينين وتحولت الثورة الديمقراطية إلى ثورة حمراء ووعد لينين المسلمين بحكومات مستقلة وبالحرية التامة الدينية إن هم ساعدوا ثورته وقاوموا قوات الأمير ديتكين وفعلا قام المسلمون بمحاربة قوات الحلفاء وقوات الحلفاء وقوات روسيا البيضاء، وأعلنوا استقلال بلادهم فى القوقاز، وفى بخارى وفى جورجيا (بلاد الكرج) وفى أذربيجان.

فلما تم للينين ما أراد من التخلص من أعدائه قام بالهجوم على أذربيجان واحتلها بجحافل قواته الجراء أو السوداء فى سنة ١٣٣٩هـ سنة ١٩٢٠م، وهكذا تشكلت جمهورية أذربيجان الاشتراكية السوفيتية فى ٢٨ إبريل سنة ١٣٣٨هـ ثم ضمت مع (جورجيا) و (أرمينا) فى مارس سنة ١٣٤٣هـ سنة ١٩٢٢م - لتؤلف جمهورية القفقاس التى الغيت وضمت مباشرة إلى الاتحاد السوفيتى وذلك لتغيير معالمها.

وهكذا فعل لينين منذ سبعين عاماً واحتل أذربيجان، وبلاد القوقاز، ومع حدة المقاومة الشعبية الإسلامية ضد هذا الغزو الروسى كما يفعل المجاهدون الأفغان فى أفغانستان، لكن القوات الروسية ذات الأسلحة الفتاكة استطاعت أن تقضى على هذه المقاومات المتتالية من الشعب الأذربيجانى تحت سمع وبصر الدول العربية والغربية دون أن تحرك ساكنا وهى ترى ذلك الدب الروسى يبتلع الأراضى الإسلامية ويحتل عسكريا دولا مستقلة معترفا بها من الدول الكبرى ذاتها بل ومن حكومة لينين نفسه.

ولا يزال التعاون وثيقا ورتيبا بين روسيا والدول الغربية فى هذا الميدان لإضعاف بلاد المسلمين واقتسام ثرواتها ونحن للأسف لا نقرأ التاريخ، وإذا قرأناه لم نفقه وإذا فقهناه لم نتعظ.

فكما هوت عروش الكافرين والظالمين هوت الشيوعية الملحدة وظهر زيفها وخداعها، وزلزل الله الأرض من تحت أقدام أصحابها ومن تعلق بأذيالهم وصبت عليهم اللعنات، وديست أصنام مؤسسيها بالنعال ونفضت شعوب الإتحاد السوفيتى غبار الذل والاستعباد عن كاهلها إثر الإنقلاب الفاشل الذى قاده نفر من



الشيوعيين على زعيمهم جورباتشوف أواخر شهر أغسطس سنة ١٩٩١م، وقامت جمهوريات البلطيق الثلاث (ليتوانيا)، (استونيا)، (لاتيفيا) بإعلان استقلالها واعترفت قيادة الاتحاد السوفيتى بهذا الاستقلال وسارعت دول العالم تقودها أمريكا ودول المجموعة الأوربية بالاعتراف وباركته الأمم المتحدة، وحذت الجمهوريات الإسلامية - أذربيجان، أوزبكستان وقرغيزيا - حذو جمهوريات البلطيق، فأعلنت استقلالها وارتفع صوت الحق والإسلام بها، ولكن باللعجب وللأسف الشديد، لم تسارع دول العالم ومن بينها الدول الإسلامية إلى الإعتراف باستقلال الجمهوريات الإسلامية أسوة بغيرها ولم يعترف أيضاً قادة الاتحاد السوفيتى كذلك باستقلال تلك الجمهوريات. ترى. لماذا؟

لعل الأيام والأحداث العالمية تكشف عن هذا السر الغامض[1]. إن الانتشار الكبير الذى حققه الإسلام فى بلاد ما وراء النهر فى مناطق قازاقستان وسيبيريا وفى تركستان الشرقية كان عن طريق الدعوة السلمية وليس عن طريق قوات الفتح. حيث قام العلماء والشيوخ والتجار وغيرهم بجهود فردية متصلة لتبليغ الدعوة الإسلامية، وهكذا أصبح الإسلام دين السكان وعقيدتهم، وأصبحت اللغة العربية لغة التخاطب فى هذه المناطق لمكانتها الكبيرة فى الحياة اليومية للمسلم بالإضافة إلى استعمالاتها فى مجال العلوم والترجمة بجانب اللغات الأصلية الأخرى للسكان كالفارسية والتركستانية[2]. واليوم ونحن نرى

---

(١) الإسلام فى وجه الزحف الأحمر ص ١٢٤ - ١٢٥، الإسلام والمسلمون فى الاتحاد السوفيتى د/محمد عبد العليم العدوى بمجلة الأزهر جـ ٥ سنة ٦٤ نوفمبر سنة ١٩٩١م.

(٢) الأقليات المسلمة فى العالم ص ٢٢.

جحافل الكفر والبغى والعدوان يحاولون تفكيك أواصر العلاقات الإسلامية، وتفتيت البلاد الإسلامية، واحتلالها بشكل أو بآخر، وإذا لم تتنبه دول الإسلام وحكامه إلى ذلك وينهضوا لصد هذا التخطيط، فسيجدون الذئب يأكلهم واحدة بعد الأخرى "وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية" (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم..)[١].

(١) سورة الرعد: آية ١١.

## الإسلام فى روسيا "أوزبكستان"

إحدى الجمهوريات الإسلامية التى دخلها الإسلام فى وقت مبكر فى عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

موقعها: تقع جمهورية أوزبكستان فى الجزء الجنوبى الشرقى من الإتحاد السوفيتى[٢].

حدودها: يحدها من الجنوب أفغانستان وطاجكستان، ويحدها من الشمال (قازاكستان) ومن الشرق (قرغيزيا) وفى جنوبها الغربى (تركمانستان).

مساحتها: تبلغ مساحة أوذبكستان (٤٤٩,٦٠٠ كم) وتنحدر من الجنوب الشرقى وتميل تدريجياً نحو الشمال الغربى وتضم وحدات سياسية مختلفة منها إمارة بخارى وسمرقند وخوارزم، وقد

(٢) البلدان الإسلامية ص ٣٢٥.



أصبحت جمهورية اتحادية سوفيتية فى عام سنة ١٣٤١هـ سنة ١٩٢٤م.

سكانها: يبلغ عدد سكان أوزبكستان حسب احصائية سنة ١٤١١هـ سنة ١٩٩١م ٢١ مليون نسمة، ويصل نسبة المسلمين فيها ٨٥%[١].

### موقف الروس من البلاد الإسلامية:

لقد حاول الروس بكل ما أوتوا من إمكانات وباستمرار تغيير معالم تلك الديار، ومحو الطابع الإسلامى، ولاسيما فى المدن ذات المجد الإسلامى العربى كبخارى، وسمرقند وطشقند ووقف المسلمون الصابرون يجاهدون بكل ما أوتوا من قوة وكان من أثر ذلك الجهاد أن نقل الروس العاصمة من سمرقند لتغيير الطابع الإسلامى لمدينتهم.

ولأن حوالى نصف مليون روسى قد نزحوا إلى طشقند واستوطنوا بين سكانها عنوة، ووصلوا فى الآونة الأخيرة إلى أكثر من مليون وستمائة ألف نسمة[٢].

تكوين السكان: يتكون سكان أوزبكستان من عناصر مختلفة أكبرها (الأوزبك) ويمثلون ٦٥,٥% من مجموع السكان. يليهم (الروس) الذين يمثلون ١٢,٥% و (التتار) ٤,٩% و(القازاخ) ٤% و(الطاجيك") ٣,٨% و (كارالياك) ٢,٥% وينتشر الروس فى معظم المدن ولاسيما العاصمة طشقند وأكثر من ٨٨% من السكان مسلمون من أهل السنة وجميع الأوزبك مسلمون.

اللغة: يتكلم (الأوزبك) اللغة التركية وهى اللغة الرسمية

(١) الأقليات المسلمة فى العالم (المسلمون فى الاتحاد السوفيتى ص ٧٣ الإسلام والمسلمون فى الاتحاد السوفيتى.

(٢) الأقليات المسلمة فى آسيا واستراليا ص ٣٠٠.

للجمهورية، وتنتشر إلى جانبها اللغة الروسية بينما يتكلم باقى الفئات اللغات الخاصة بكل منها[1].

## الحالة الاقتصادية :

تعتبر (أوزبكستان) فى مقدمة الجمهوريات الإسلامية من حيث تعداد سكانها وتقدمها الاقتصادى. ففيها ثروة زراعية وحيوانية هائلة إذ أنها تقع فى منطقة كثيرة الأنهار كثيرة المراعى متصلة الخضرة ففى مجال الزراعة تنتج من القطن ثلاثة ملايين طن سنوياً أى ٦٨% من جملة انتاج الإتحاد السوفيتى بأكمله من القطن. وربع مليون طن من (القمح) ومائة وستون ألف طن من (الذرة ومختلف أنواع الفاكهة، وكمية هائلة من البنجر (السوندر السكرى).

الإنتاج الحيوانى: فبها تسعة ملايين رأس من الغنم، ٢,٥ مليونان ونصف من البقر، وتنتج ثلث الحرير الذى ينتجه الإتحاد السوفيتى، وذلك لوجود المساحات الشاسعة المزروعة توت والذى يتربى عليه دود القز، كما أن الثروة الحيوانية ساعدت على إنتاج الصوف الذى يمثل ثلث إنتاج الإتحاد السوفيتى.

الثروة المعدنية: وبجانب الثروة الزراعية والحيوانية توجد الثروة المعدنية كالنحاس، والذهب، والبوكسايت كما أنها غنية بموارد الطاقة من البترول والغاز الطبيعى والفحم والكهرباء.. ويستخرج الفحم الذى يقدر بستة ملايين طن من طشقند، بينما يستخرج البترول والغاز الطبيعى من الحقول الواقعة فى منطقة بخارى، وخيفا وفى صحراء كيزل كوم، وتعد الأنهار أهم مصدر طبيعى لتوليد الطاقة الهيدوكهربية.

(١) المسلمون فى الاتحاد السوفيتى جـ١ ص ٣٦٢ د. محمد البار.



ولهذا قامت صناعات متعددة فى البلاد كصناعة الحديد والصلب وكثير من الصناعات الثقيلة وغيرها كصناعة الأسمنت وتكرير النحاس والأسمدة ومشتقات البترول والأدوات الدقيقة.

ومع أن الجمهوريات الإسلامية غنية جدا بالموارد الزراعية والحيوانية والمعدنية وبها ما يقرب من ٧٥% من مجموع الإنتاج الزراعى والحيوانى والمعدنى. إلا أن السياسة السوفيتية حرصت على نقل جميع الإنتاج إلى الأراضى الروسية لكى تتطور مصانعها ومنشآتهم وتتحسن أوضاعهم فى الوقت الذى تبقى فيه المناطق الإسلامية مهملة وراء خلفة، ومع ذلك فقد قامت بعض صناعات فى البلاد الإسلامية لقرب ج، ولقرب المناجم ولوجود الأيدى العاملة المتوفرة الرخيصة. يفسر ذلك بعض المصانع التى قامت فى باكو وطشقند وغيرهما إلا أن ذلك كله تحت سيطرة السلطات الحاكمة كما أن الفوائد المتحققة من ذلك للمسلمين محدودة.

وقد حصل تغيير فى السياسة الصناعية السوفيتية بسبب نتائج الحرب المدمرة الناجمة عن الحرب العالمية الثانية إذ بدأت فى إنشاء المصانع فى الأراضى الإسلامية، مع نقل الروس إلى المناطق الإسلامية فيها بالقوة مما نجم عنه تزايد أعدادهم باستمرار على حساب السكان الأصليين من المسلمين.

كما أن وسائل الإنتاج كلها ملك للدولة وأن أرباحها والنتائج المترتبة على إزدهار الإنتاج الزراعى والصناعى إنما تنصب فى مصلحة السلطات المركزية الحاكمة.

ومن المعلوم أن السياسة السوفيتية الداخلية تقوم على أساس تغليب الروس ومصالحهم على

سكان المناطق الإسلامية الخاضعة للدولة، وقد لعب ذلك دورا مؤثرا فى الحياة السياسية للأقاليم الإسلامية، فقد أصبح أكثر ممثلى الأقاليم الإسلامية – نتيجة التهجير – هم من الروس رغم أنهم غرباء فى حين لم يحقق المسلمون المهجرون فى الأقاليم التى شردوا إليها شيئاً يذكر فى المجالس النيابية بسبب غلبة الروس فيها.. وبجانب ذلك فإن اتباع سياسة نشر الإلحاد ومحاربة الإسلام بخاصة والأديان بعامة الالتزام بمقولة المادية الجدلية والتطبيق الاشتراكى العلمى قد قرض على المجالس الانتخابية – ومعظمها من العمال والفلاحين – الالتزام بتطبيق أفكار محددة تقررها السلطة وتفرض عليهم ولا يجرؤون على المخالفة ولا يملكون حرية التصرف.

وهكذا فإن الشعوب الإسلامية فى الاتحاد السوفيتى تنتظر ساعة الخلاص من هذا الظلام الحالك وهذا الكابوس المظلم[1].

**أهم المدن فى أوزبكستان:**

١- **طشقند:** وهى عاصمة أوزبكستان، ويبلغ تعداد سكانها ما يزيد على مليون وستمائة ألف نسمة. وتقع رافد من روافد نهر (سيحون) بالقرب من حدود قازاكستان ولهذه المدينة تاريخ حافل بأمجاد الإسلام وبالثقافة الإسلامية وهى الآن ذات مبان شاهقة ومنتزهات جميلة وتقع وسط إقليم زراعى وتعد مركزا صناعيا هاما:

سمرقند: وتعتبر من أهم المدن بعد طشقند، وتقع على نهر (زراقشان) رافد من روافد نهر (جيحون)، وبها مبان وآثار تاريخية

(١) أنظر فى الأقليات المسلمة فى العالم (المسلمون فى الاتحاد السوفيتى ص ٤٠، ٤١، ٤٢ وأنظر أيضاً الخطر الشيوعى فى بلاد الإسلام ص ٣١د/ محمد شامة.



تعود إلى القرنين الثامن والتاسع للهجرة وعدد سكانها يزيد على ربع مليون نسمة.

وكانت أيضاً سمرقند مدار من منارات الإسلام فى العلم والمعرفة.

بخارى: وهى من المدن الهامة فى الجهات الشرقية ولها فى أفئدة المسلمين جميعاً منزلة كبيرة لما لها من مكانة علمية فكفاها فخرا أن يكون منها الإمام البخارى وأمثاله من علماء الإسلام الأعلام. وظلت بخارى لمئات السنين منارة علم ومركزا إسلاميا هاما فى تزويد الراغبين بعلوم الإسلام وثقافته حتى غزاها المغول التترى فى عام ٦١٦هـ فخربها على يد جنكيز خان قائد المغول على نحو ما سنبين بعد قليل.

**متى وكيف وصل الإسلام إلى هذه البلاد:**

بعد أن فتح المسلمون "خراسان"[1] فى عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – بقيادة الأحنف بن قيس – رضى الله عنه – واصل الأحنف حتى وصل إلى مدينة "هراة" ثم "مرو"[2] وفى خلافة عثمان بن عفان – رضى الله عنه – واصل الأحنف فتوحاته حتى وصل "طخارستان"[3] وفتح "الطالقان"[4] صلحاً ثم سار إلى "بلخ"[5] فصالحهم وصالح أهل ما وراء النهر "نهر جيحون" ولما استقر الأمر لمعاوية بن أبى سفيان رحمه الله غفر له – ولى على خراسان (الحكم بن عمرو الغفارى)

(١) بلاد واسعة تقع شمال شرقى إيران، وجنوب الاتحاد السوفيتى، وغرب أفغانستان.

(٢) هراة، مرو: مدينتان عظيمتان من مدن خراسان ومن أمهاتها ورو تسمى مرو الشاهجان "مرو العظمى" – فتوح البلدان/٧٧٨.

(٣) ولاية واسعة من نواحى خراسان شرقى بلخ وغربى نهر جيحون.

(٤) الطالقان: أكبر مدينة بخارسان بين مرو الروز وبلخ.

(٥) بلخ: مدينة شهيرة بكورخراسان وهى اليوم فى أفغانستان.

وكان عفيفا وله صحبة – رضى الله عنه – فكان الحكم أول من صلى وراء النهر ثم ولى بعده سعيد بن عثمان بن عفان – رضى الله عنه – خراسان. فقطع النهر وكان أول من قطعه بجنده، وقيل إن عبيد الله بن زياد هو الذى قطع النهر فى أربعة وعشرين أفا، فأتى بيكند[1] وكانت خاتون (أميرة) ببخارا، فأرسلت إلى الترك تستنجد بهم وتستمدهم فجاءها منهم دهم فلقيهم المسلمون فهزموهم وحووا عسكرهم، فبعثت إليهم "خاتون" تطلب الصلح والأمان – بعد محاصرة بخارى – فصالحها وفتح المدينة وانتهى الحصار بمصالحة أهلها للمسلمين، وتوالى الفتح الإسلامى حتى دخل سمرقند بقيادة سعيد بن عثمان–رضى الله عنه.

وفى عهد الوليد بن عبد الملك تولى قتيبة بن مسلم الباهلى أمر خراسان عام ٨٨ فعبر النهر استعاد منطقة (طخارستان) ثم استعاد بخارا فى المرحلة الأولى ٨٧ – ٩٠هـ واستطاع فى المرحلة التالية من ٩٠ – ٩٣هـ أن يرفع راية الإسلام فى حوض نهر جيحون. ثم توجهت فتوحاته بعد ذلك إلى (ولايات سيحون) وداتت له بلاد (أوزبكستان) ونجح فى نشر الدعوة الإسلامية وتوطيد دعائم الإسلام بها وبنى المساجد فى البلاد وأول مسجد بناه مسجد بخارا عام ٩٤هـ وواصل مسيرته فى الفتوحات حتى قارب تخوم الصين[2].

ومن عدالة الإسلام وآدابه فى الحرب والتى تجاوزت كل تصور ما روى من أنه فى خلافة الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز قدم عليه

(١) تقع بين بخارى ونهر جيحون.

(٢) انظر فتوح البلدان ص ٥٠٧، تاريخ اليعقوبى جـ٢، ص ٣٨١، وتاريخ دول الإسلام للذهبى جـ١، ص ٢٢.



وفد من أهل (سمرقند) يرفعون إليه شكراهم من دخول قتيبة بن مسلم مدينتهم وأسكنها المسلمين على غدر فكتب عمر إلى عامله أن ينصب لهم قاضيا ينظر فيما ذكروا. فإن قضى بإخراج المسلمين خرجوا على أن ينابذوهم على سواء[1] فكره أهل سمرقند الحرب وأقروا المسلمين فأقاموا بين أظهرهم[2].

وظل الإسلام ينتشر بمبادئه السمحة وقيمه السامية قرابة سبعمائة عام ترتفع أعلامه وتعلو راياته على بلاد المشرق الأقصى، حتى اجتاح العالم الإسلامى ذلك الزحف المغولى، بقيادة جنكيز خان وكان زحفا مشئوما اندفع كالسيل الجارف من قمم الجبال واكتسح فى طريقه كل ما هو إسلامى، وقضى على الأخضر واليابس وأنزل الجيش المغولى ببلاد الإسلام الدمار والخراب وقضى على الخلافة العباسية فى بغداد سنة (٦٥٦هـ – ١٢١٨م).

وما تلا ذلك من امتداد سلطان المغول على الجناح الشرقى لدولة الإسلام[3]. تاركين وراءهم

(١) أى يطلبوا منهم دخولهم فى الإسلام، فإن أبوا فتحوا لهم البلد لدعوة الناس إلى الإسلام بلا إكراه، فإن لم يقبلوا هذا ولا ذاك فالحرب سجال.

(٢) البلدان الإسلامية ص ٣٢٩.

(٣) لم نعرف على وجه الدقة كيف نشأت كلمة مغول ويصاحبها كلمة تتر فإذا أطلقت كلمة تتر فهم المغول وإذا أطلقت كلمة مغول فهم التتار. على أن (كتاب الدعوة إلى الإسلام) تأليف سير توماس أرنولد – تعرض للفظين موضحا الفرق والعلاقة بينهما: فيقول: إن كلمة تتر تختلف بالمعنى العام باختلاف العصور: العصور: فقد أطلق هذا اللفظ على جماعتين من قبائل التتر فى نقوش الأرخون التركية التى ترجع إلى القرن الثامن الميلادى، كما أطلق هذا الإسم على المغول عامة أ على فريق منهم خاصة وفى جميع الفتوحات المغولية فى القرن الثالث عشر الميلادى كان الفاتحون يسمون بالتتر فى كل مكان نزلوا فيه، سواء أكان فى الصين أم فى

صحروات خالية وأطلال دارسة،

البلاد الإسلامية أم فى البلاد الروسية وغرب أوربا، كذلك نرى فى روسيا وشرق أوربا إسم التتر يطلق غالباً على جميع الشعوب التركية ما عدا العثمانيين ويرى بعض المؤرخين من المسلمين أن التتر شعب كبير من الأمة التركية ومنه تفرعت معظم بطونها وأفخاذها وهو مرادف للترك عند الفرنجة حتى إنهم يعدون قبائل الأتراك كافة تترا.

وأما كلمة تتر بالمعنى الخاص فهى إسم لشعب معين إذ لا تطلق على سكان حوض نهر الفولجا من بلاد قزان إلى استراخان، وكذا على سكان شبه جزيرة القرم وجزء من سيبريا ممن يتكلمون اللغة التركية. ويظهر أن الشعوب التى كانت مغولا فى الأصل واللغة كانت تسمى نفسها بالتتار... وقد استبدلت كلمة تتر بعد جنكيز خان فى بلاد منغوليا وأواسط آسيا بكلمة مغل ولا يزال لفظ مغل مستعملا إلى اليوم فى بلاد أفغانستان بين أعقاب المغول الذين لا يزالون محتفظين بلغتهم حتى الآن. وقد أدخل جنكيزخان تلك التسمية رسمياً فى بلاده، على أن كلمة مغل لم تسد قط فى البقاع الغربية من امبراطورية المغول رغم دخولها رسميا فى تلك البلاد. (الدعوة إلى الإسلام ص ٢٤٨، ٢٤٩).

ففى مدينة هراة قضى الجيش المغولى على مائة ألف من السكان ولم ينج منهم إلا أربعون رجلا خرجوا من مخبئهم فرارا من الموت، ووقفوا مهطعين مقنعى رؤوسهم يبكون أطلال مدينتهم، وقد أخذ الفزع والهلع من نفوسهم كل مأخذ. وفى مدينة بخارا، التى اشتهرت برجال العلم والورع، اتخذ المغول من مساجدها المقدسة اصطبلات لخيولهم، ومزقوا المصاحف ووطئوها بدوابهم، كما سبوا من نجا من الأهلين من القتل، وجعلوا مدينتهم رمادا تذروه الرياح، وكذلك كان مصير مدينتى سمرقند وبلخ وغيرهما من أمهات مدن آسيا التى كانت من قبل فخر الحضارة الإسلامية ومواطن الأولياء والعلماء وكعبة العلوم، كما كان ذلك أيضاً مصير بغداد، التى ظلت قروناً عدة حاضرة الخلافة الإسلامية[1].

(١) الدعوة إلى الإسلام ص ٢٤٩.



يقول ابن الأثير – وكان معاصرا لهذا الغزو الهمجى – عند ذكره حوادث سنة ٦١٧ هـ: "لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة، استعظاما لها كارها لذكرها، فأنا أقدم رجلا وأؤخر أخرى، فمن الذى يسهل عليه أن يكتب نعى الإسلام والمسلمين، ومن الذى يهون عليه ذكر ذلك"؟.

فياليت أمى لم تلدنى! "ياليتنى من قبل هذا وكنت نسيا منسيا"[1]. إلى أن حثنى جماع من الأصدقاء على تسطيرها وأنا متوقف. ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدى نفعا فنقول: هذا الفصل يتضمن تلك الحادثة العظمى، والمصيبة الكبرى التى عقمت الأيام الليالى عن مثلها عمت الخلائق وخصت المسلمين"، فلو قال قائل: إن العالم مذ خلق الله عز وجل آدم إلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقا، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها، ولا ما يدانيها، ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم وتفنى الدنيا"[2].

ومع هذا التصور القظيع لهذا الغزو التترى المغولى وشناعته وقدرته على تخريب البلاد وقتل العباد، والقضاء على الآلاف المؤلفة من المسلمين، فإنهم لم يستطيعوا أن يقضوا على الإسلام نفسه ولا على عقيدته، بل إن الإسلام نفسه إستطاع بقوته الذاتية وما يحمله من قيم وفضائل أن يجذب المغول أنفسهم إليه ويحملهم على وذلك بفضل نشاط الدعوة الإسلامية، وصدق الدعاة واخلاصهم فى دعوتهم إلى الإسلام، على الرغم مما كانوا يلقون فى ذك من أنواع المتاعب، وأصناف المشقات وبخاصة أنهم يناهضون منافسين لهم من البوذيين والمسيحيين منافسة قوية، يحاول كل فريق بكل

(١) سورة مريم: آية ٢٣.

(٢) الكامل فى التاريخ لابن الأثير جـ١٢، ص ٢٤٣، ٢٤٤.

ما أوتى من حول وطول جذب هؤلاء الغزاة إليه.

وقد استطاع الإسلام أن ينتشر فى نهاية تلك المعركة التبشيرية، ويعتنقه المغول وينتشر بين هؤلاء الغزاة الفاتحين من التتر والمغول الذين خربوا البلاد والديار وخضع لسلطانهم معظم المسلمين. فهل يستطيع مدع أن يدعى أن الإسلام انتشر بين هؤلاء التتر بقوة السيف، والتتر أنفسهم اذين أسلموا كانوا هم حملة السيوف، وأصحاب النفوذ والسلطان فى طول البلاد وعرضها، ولم يكن أحد ليجرؤ على إرغامهم على اعتناق الإسلام.

أول من أسلم من أمراء المغول:

بعد موت جنكيز خان إمبراطور المغول الأكبر، قسمت الإمبراطورية بين أولاده الأربعة (أغواطاى، جفطاى، باتوين جوجى، تولوى) فاستولى الأول على الجزء الشرقى وأدخل فيما بعد جميع أرجاء الصين.

واستولى الثانى على الجزء الأوسط من الإمبراطورية.

واستولى الثالث على الجزء الشمالى الغربى وأطلق عليه لقب خان القبيلة الذهبية.

واستولى الرابع تولوى على الجزء الجنوبى الغربى أى بلاد فارس، التى ضم إليها هولاكو - مؤسس أسرة إيلخانات المغول فى غربى آسيا - العراق العربى وجزءا كبيرا من آسيا الصغرى. وكان القضاء على بغداد على يد هذا اللعين هولاكو، هذا وقد اختلفت معاملة المغول لأرباب الديانات المختلفة: (البوذية - والمسيحية - الإسلام)، من سكان امبراطوريتهم الواسعة التى حكموها، فكانو أحيانا يسلكون معهم سبيل الشدة والقسوة، وأحيانا أخرى يتسامحون معهم ويسمحون لهم بإقامة شعائرهم الدينية، وكان بعض الأمراء يستمع



إلى الجدل والنقاش والحوار الدينى بين زعماء الأديان، ولما كان للإسلام السبق فى مبادئه وخصائصه التى تميز بها فقد جذب أمراء المغول من أحفاد جنكيز خان[1]، واعتنق بعضهم الإسلام واعتقده منهم: "بركة خان" الذى اعتنق الإسلام وتسمى باسم الملك السعيد بركة خان زعيم القبيلة الذهبية فى روسيا وكان أول مسلم من أمراء المغول.

ويروى فى سبب إسلامه أنه قابل تجارا من المسلمين كانوا قادمين من بخارى، فخلا باثنين منهم وسألهما عن الإسلام، فبينا له أصوله وفروعه، فأثر قولهما فى قلبه، واقتنع بسلامة العقيدة الإسلامية، وسداد تعاليم الإسلام، فأعلن إسلامه، وصار مسلما سنيا مخلصا شديد التمسك بدينه داعيا أمينا إليه وأخذ كل التابعين له باعتناق هذا الدين، واجتهد فى تعويض الإسلام عما لحق به من الأذى على أيدى أجداده، فاهتم بإنشاء المساجد، ومدارس تحفيظ القرآن الكريم، واستقدام العلماء والفقهاء والإحسان إليهم، ومساعدتهم وتيسير مهمتهم فى نشر الدين، ومن شدة التزامه بمبادئ الدين، أنه جعل لكل أمير وأميره فى قصره مؤذن وإمام خاص، وأن جميع جيشه كان مسلما محافظا على الصلوات مبتعدا عن المسكرات، وكان يقتنى كثيرا من كتب الدين الإسلامى ويضم مجلسه أكابر العلماء من الفقهاء، والمفسرين والمحدثين والمتكلمين. ومن شدة محافظته على الصلاة كان كل جندى من جنود هذا الأمير يحمل معه سجادة للصلاة يفرشها ويؤدى عليها كل صلاة فى وقتها.

وكان بركة خان (الملك السعيد) معاصرا لركن الدولة الظاهر بيبرس

---

(١) المغول كانوا يدينون بالديانة الشامانية الخاصة بهم.

البندقدارى سلطان المماليك فى مصر (١٢٦٠ – ١٢٧٧م). وكان الأميران حليفين ضد هولاكو فاتح بغداد اللعين.

والمعروف أن الظاهر بيبرس كان هو الذى صمد فى وجه الغزو المغولى والحق بالمغول خسائر فادحة، وأوقف زحفهم نحو الجزء الغربى من الإمبراطورية الإسلامية.

وفى سنة (٧١٣ – ٧٠هـ) – (١٣١٣ – ١٣٤٠) تولى إمارة القبيلة الذهبية أوز بك خان زعامة المغول، فحذا حذوا (الملك السعيد بركة خان)، وكان مسلما متحمسا للإسلام حريصاً على إدخال كل القبيلة الذهبية فيه، وإليه يرجع الفضل فى توطيد دعائم الدين الحنيف، وتثبيت أركانه فى دولته. ورأى بعض قومه تحمسه للإسلام فقالوا له: إقنع بطاعتنا وماذا يعينك من ديننا؟ ولماذا تترك دين جنكيز خان وتعتنق دين العرب؟ فلم يأبه بقولهم، بل إنه سار فى طريقه يدعو إلى الإسلام حتى نجح فى إدخال كثير من قومه فى هذا الدين، وكان قد وضع خطة لنشر الإسلام فى كل بلاد الروس لكنه لم يتم له ذلك كما كان يريد، وذلك لشدة تسامحه مع أرباب الديانات الأخرى وبخاصة المسيحيون.

ففى سنة ١٣١٣ كتب عهدا يوصى فيه بالتسامح مع المسيحين وأرسله إلى جميع الأمراء التابعين له، وقد ورد فى هذا العهد: بمشيئة الله العلى القدير، وعظمته ورحمته. من أوزبك إلى أمرائنا كبيرهم وصغيرهم وغيرهم. إن كنيسة بطرس (المسيحية) مقدسة، فلا يحل لأحد أن يتعرض لها أو لأحد من خدامها أو قسيسها بسوء، ولا أن يستولى على شىء من ممتلكاتها أو متاعها أو رجالها... ولندع بال المطران مستريحا لا يصيبه قط



نصب ولا تعب، وليكن قلبه سليما قويما، ولندعه يصلى من أجلنا، ومن أجل أولادنا وأمتنا، حتى إذا وضع يده على شىء مقدس ثبتت عليه التهمه وباء بغضب من الله وكل ما يؤخذ من رجال الدين بالقوة والإكراه يرد إليهم أضعافاً ثلاثة... وكل من يتهم هذا الدين أو يحط من قدره فلن يقبل منه عذر، وليس له أن يطلب العفو، بل يكون جزاؤه القتل"، وقد أثمر هذا العهد ثمرته العلمية المرجوة فأرسل البابا يوحنا الثانى والعشرون سنة ١٣١٨م إلى أوزبك خان رسالة يشكر فيها للأمير المسلم ما أظهره من عطف وتسامح مع رعاياه المسيحيين، وبهذا لم يقدر الزعيم المغولى أن يوقف تقدم المسيحية فى بلاد الروس. ووقف الإسلام مقتصرا على المناطق الخاضعة للقبيلة الذهبية.

أما بقية الروس ما بين مسيحيين وغير مسيحيين فقد ظلوا دون أن يرغموا على اعتناق الإسلام وممن اعتنق الإسلام فى حماسة وإخلاص من أمراء المغول "مبارك خان" حفيد جغطاى امبراطور الإمبراطورية المغولية الوسطى، وكذلك طوقلق تيمور خان ملك كاشغر (١٣٤٧ – ١٣٦٣م)، وكان إسلامه على يد الشيخ جمال الدين البخارى الورع التقى.

وسبب ذلك أن الشيخ ومعه جماعة من التجار المسلمين اعتدوا على قطعة أرض مخصصة للصيد وهى ملك الدولة، فأمر الأمير بأن توثق أيدى هؤلاء وأرجلهم ويمثلوا أمامه، فلما أحضروا سألهم فى شدة وغضب: كيف تجرءون على دخول هذه الأرض؟ فأجاب الشيخ: إننا غرباء، ولم نعلم أنها أرض محرمة أو محظور الاعتداء عليها. ولما علم الأمير أنهم من الفرس قال: إن الكلب أكثر قيمة من أى فارس. فقال

الشيخ: قد نكون أقل قيمة من الكلب لو أننا لم ندن بالدين الحق. وراع الأمير هذا الجواب وهزه، فأمر أن عرض عليه هذا الفارس الجرىء بعد عودته من الصيد. فلما خلا به سأله عما يريد بذلك الدين الذى ذكره فى الرد عليه، فعرض عليه الشيخ قواعد الإسلام وتعاليمه فى غيرة وتحمس انفطر لهما قلب الأمير واهتزت مشاعره، وصور له الكفر بصورة مروعة اقتنع معها الأمير بضلال معتقداته وفسادها وقال: "ولكنى إذا اعتنقت الإسلام الآن، فلن أستطيع حمل الرعية على الإسلام وهدايتهم لطريقه المستقيم، فلتمهلنى قليلا من الوقت، فإذا ما آلت إلى مملكة أجدادى، فدى إلىّ".

وكانت (امبراطورية جغطاى) قد انقسمت إلى أمارات صغيرة، وظلت على ذلك سنين طويلة حتى نجح طوقلق خان تيمور فى توحيد الإمبراطورية كلها تحت سلطانه، وجمع كلمتها كما كانت من قبل.

لكن الشيخ ترك الأمير ورجع إلى بلاده، وفى ذهنه وعد الأمير له فحرص كل الحرص على أن يوفى بوعده معه، إلا أنه شعر بالإشراف على الوفاة، فاستدعى ابنه رشيد الدين، وأخبره الخبر، وأوصاه أن يذهب إى طوقلق خان عسى أن يتم إسلامه على يديه، وطلب منه أن يقرئه منه السلام.

وذهب الشيخ رشيد الدين إلى الأمير تنفيذا لوصية والده، ولكنه لم يستطع أول الأمر أن يصل إليه فابتكر حيلة طريفه لذلك، وهى أنه وقف على مقربة من فسطاط الأمير فى الصباح المبكر، وأخذ يؤذن للصلاة بصوت مرتفع أقلق الخان، فأمر باحضاره، وانتهز الشيخ هذه الفرصة وأدى رسالة أبيه: حينئذ قال



طوقلق: حقا! مازلت أذكر ذلك منذ اعتليت عرش آبائى، ولكن الشخص الذى وعدته لم يحضر من قبل. أما الآن وقد حضرت فأنت على الرحب والسعة. ثم نطق بالشهادتين وأشرف نور الإسلام فى قلبه، ومحا ظلام الكفر منه..

اتفق هو والشيخ على نشر الإسلام بين الرعية، على أن يبدأ بعرضه على الأمراء واحد بعد واحد، ويعرض عليهم الإسلام، فمن قبله جوزى الجزاء الحسن. وكان أول من عرض عليه الإسلام هو الأمير "طوليك" فقال له الخان: ألا تدخل فى الإسلام؟ عند ذلك سالت عبرات الأمير وقال دخلت فى الإسلام منذ ثلاث سنوات على يد رجل من المسلمين فى كاشغر، ولكنى لم أصرح بذلك خوفاً منك فنهض طوقلق خان عاتق الأمير، ثم جلس ثلاثتهم. وتم عرض الإسلام على سائر الأمراء، فقبوه جميعاً إلا واحد منهم اسمه جراس فقد أبى أن يدخل فى هذا الدين، واقترح هذا الأمير أن تعقد مبارزة جسمية بين الشيخ وخادم من خدمه كان قوياً بدنياً يستطيع أن يرفع جملا ابن حولين بيديه، فقبل الشيخ المبارزة، وقال إذا لم أصرعه فلن أطالبك بالدخول فى الإسلام، فإن الله ببركة هذا الدين يهب لى قوة أستطيع بها أن أظهر على هذا الرجل.

وقد حاول الملك والأمراء الذين اعتنقوا الإسلام أن يثنوا الشيخ عن عزمه، ولكنه أصر على المبارزة، واحتشد الناس فى جمع كبير وجىء بالخادم الوثنى، وتقدم نحو الشيخ غير مكترث به مغرورا بقوته، والشيخ أمام هذا الوثنى الضخم قد بدا أمام الناس أنه ضئيل ضعيف بالنسبة لهذا الكافر، وبدأت المبارزه ولم يكد الصراع أن يبدأ حتى وكز

الشيخس هذا الرجل وكزة قوية فسقط مغشياً عليه، وعاود المصارعة مرة ثانية لكنه لم يقدر على الشيخ فنهض الوثنى إلى الشيخ يقبل أقدامه، ويعلن فى الحال إسلامه على الملأ جميعاً، فكبر المسلمون وأكبر الحاضرون ذلك الانتصار، وعلت أصوات الاستحسان من كل مكان وفى ذلك اليوم أسلم حوالى (١٦٠,٠٠٠) مائة وستون ألف رجل قصوا شعورهم ودخلوا فى الإسلام، وبدد نور الإسلام غياهب الكفر، وأصبح وأصبح الدين الإسلامى منذ ذلك الوقت دين سكان الحضر فى الولايات الخاضعة لسلطان أحفاد جغطاى. ولاتساع البلاد وبعد الأمكنة فقد ظل كثير من بدو المغول على وثنيتهم بعيدين عن حظيرة الإسلام حتى القرن الخامس عشر الميلادى، فى عهد محمد خان، واستطاع كل ما أوتى من إمكانات أن يحول هؤلاء البدو إلى الإسلام، فقد كان ثريا حسن الإسلام ونهج منهج العدل وسلك سبيل المساواة بين الناس ولم يفتر عن بذل هذه الجهود لنشر الدعوة الإسلامية بين الناس حتى أصبح معظم القبائل المغولية فى عهده المبارك تدين بالإسلام.

أما الجزء الجنوبى الغربى من الإمبراطورية المغولية (بلاد فارس) فكان الإسلام فيها اقل إنتشارا، حيث أسس هولاكو[1] أسرة إيلخانات المغول، وتحالف مع القوات المسيحية فى الشرق ومع الصليبيين فى الغرب، وتزوج إبناه أباقاخان (١٢٦٥ - ١٢٨١م)، من ابنة

(١) قائد الحملة المغولية التى أرسلها ماتجو خان (١٢٤٨ - ١٢٥٧م) بإيعاز من هيتون ملك أرمينية المسيحى - للقضاء على المسلمين فى بغداد، ولصد هجمات بركة خان، وسلطان مصر الظاهر بيبرس.



إمبراطور القسطنطينية المسيحية، وعلق المسيحيون آمالهم فى أن يعتنق أباقاخان المسيحية، ولكن آمالهم ذهبت سدى، وأظهرت الأيام لهم أن تلك الآمال كانت سرابا خادعا.

وخلف من بعده أخوه تكودار أحمد (٢٨٢ - ١٢٨٤م)، وكان أول إيلخانات المغول الذين اعتنقوا الإسلام فى فارس، نشأ هذا الأمير وشب على المسيحية، وتعمد فى صباه وتسمى باسم نيقولا، لكن عناية الله أدركته عندما بلغ سن الرشد ودان بالإسلام عن رغبة وطيب نفس، عن طريق اتصاله بالمسلمين الذين كان يحبهم ويألفهم وسمى نفسه أحمد بعد أسلامه وقد حال بكل طاقة وبذل قصارى جهده، فى أن يدخل كل التتار حظيرة الإسلام، لكنهم لم يقبلوا وظلوا على وثنيتهم، فلم يرغمهم على الإسلام، ولكنه لجأ إلى ذلك عن طريق البذل والعطاء، ومنح الرتب والألقاب فدخل عدد كبير منهم الإسلام بهذه الوسيلة.

وقد أرسل تكودار أحمد إلى السلطان قلاوون سلطان مصر يخبره بإسلامه فى وثيقة تاريخية عظيمة القدر، جليلة الأثر، وقد كتبت باللغة العربية الفحصى بأسلوب بليغ جذاب مؤرخة بتاريخ جمادى الأولى سنة ٦٨١هـ - أغسطس سنة ١٢٨٢م - وهذا نصها:

"إلى سلطان مصر. أما بعد .. فإن الله سبحانه تعالى بسابق عنايته، ونور هدايته قد كان أرشدنا فى عنفوان الصبا وريعان الحداثة، إلى الإقرار بربوبيته والإعتراف بوحدانيته والشهادة لمحمد ﷺ بصدق نبوته ورسالته، وحسن الاعتقاد فى أوليائه الصالحين من عباده وبريته، فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام. فمل

نزل نميل إلى اعلاء كلمة الدين، واصلاح أمور الإسلام والمسلمين، إلى أن أفضى إلينا بعد أبينا الجليل وأخينا الكبير نوبة الملك، فأفضى علينا من جلابيب ألطافه، ولطائفه، ما حقق به آمالنا فى جزيل آلائه وعوارفه، وجلى هذه المملكة علينا، وأهدى عقيلتها إلينا فاجتمع عندنا فى قوريليان المبارك - وهو المجتمع الذى تقدح فيه الآراء - جميع الإخوان والأولاد والأمراء والكبراء ومقدمى العساكر، وزعماء البلاد. واتفقت كلمتهم على تنفيذ ما سبق به حكم أخينا الكبير، فى إنفاذ الجم الغفير من عساكرنا التى ضاقت الأرض برحبها من كثرتها، وامتلأت الأرض رعبا من عظيم صولتها، وشدة بطشها، إلى تلك الجهة بهمة تخضع لها صم الأطواد، وعزيمة تلين الصم الصلاد، ففكرنا فيما تمخضت زبد عزائمهم عنه واجتمعت أهواؤهم عليه فوجدناه مخالفاً لما كان فى ضميرنا من اقتضاء الخير العام، الذى هو عبارة عن تقوية شعائر الإسلام، وأن لا يصدر عن أوامرنا ما أمكننا إلا ما يوجب حقن الدماء وتسكين الدهماء وتجرى به فى الأقطار، رخاء نسائم الأمن والأمان، ويستريح به المسلمون فى سائر الأمصار فى مهاد الشفقة والإحسان، تعظيما لأمر الله، شفقة على خلق الله فألهمنا الله تعالى إطفاء تلك النائرة، وتسكين الفتن الثائرة، وإعلام من أشار بذلك الرأى بما أرشدنا الله إليه: من تقديم ما يرجى به من شفاء مزاج العالم من الأدواء وتأخير ما يجب أن يكون آخر الداء".

وإننا لا نحب المسارعة إلى هز النصال للنضال، إلا بعد إيضاح المحجة، ولا نبادر له إلا بعد تبيين الحق وترتيب الحجة، وقوى عزمنا



ما رأيناه من دواعى الصلاح، وتنفيذ ما ظهر لنا به وجه النجاح، وإذا كان الشيخ قدوة العارفين (كمال الدين عبد الرحمن) هو نعم العون لنا فى أمور الدين، فقد أرسلناه رحمة من الله لمن لبى دعاه، ونقمة على من أعرض عنه وعصاه، وأنفذنا أقضى القضاة قطب الملة والدين، الأثابك بهاء الدين اللذين هما من ثقات هذه الدولة الزهراء، ليعرفوهم طريقنا ويتحقق عندهم ما ينطوى عليه لعموم المسلمين جميل نيتنا وبينا لهم أنا من الله تعالى على بصيرة، وأن الإسلام يجب ما قبله وأنه تعالى ألقى فى قلوبنا أن نتبع الحق وأهله...".

فإن تطلعت نفوس إلى دليل تستحكم بسببه دواعى الإعتماد وحجة يثقون بها من بلوغ المراد، فلينظروا إلى ما ظهر من أمرنا مما اشتهر خبره وعم أثره، فإنا ابتدأنا بتوفيق الله بإعلاء أعلام الدين وإظهاره فى إيراد كل أمر وإصداره تقديما لناموس الشرع المحمدى، على مقتضى قانون العدل الإلهى إجلالا وتعظيما. وأدخلنا السرور على قلوب الجمهر، وعفونا عن كل من اجترح شينه واقترف، وقابلناه بالصفح، وقلنا: عفا الله عما سلف... وتقدمنا بإصلاح أمور أوقاف المسلمين، من المساجد والمشاهد والمدارس، وعمارة بقاع الدين والربط والدوارس وايصال حاصلها بموجب عوائدها القائمة إلى مستحقيها بشروط واقفيها..."، وأمرنا بتعظيم أمر الحجاج، وتجهيز وفدها، وتأمين سبلها، وتيسير قوافلها، وإنا أطلقنا سبيل التجار المترددين على تلك البلاد ليسافروا بحسب اختيارهم على أحسن قواعدهم"[1]، وهو يلتمس مخالفة

---

(١) أنظر صبح الأعشى للقلقشندى جـ١، ص ٦٥ - ٦٨. وقد رد السلطان قلاوون على هذه الرسالة برسالة أخرى مؤرخة فى رمضان سنة ١٦٨١هـ - ديسمبر سنة ١٢٨٢م، (صبح الأعشى جـ٧، ص ٢٣٧ - ٢٤٢).

سلطان مصر بحيث تعمر تلك الممالك وتلك البلاد، وتسكن الفتنة الثائرة، وتغمد السيوف البائرة، وتحل العامة أرض الهوينى، وتخلص رقاب المسلمين من أغلال الذل والهوان"[1] والحق أن هذه الوثيقة لتدل بصدق على قوة الإسلام الذاتية وتنبىء عن عظمة الإسلام عندما يمس حبه شغف القلوب، ويتغلغل فى الصدور، فيحول بمبادئه السامية ألد أعدائه، وأشد خصومه، إلى مدافعين عنه، مبلغين له، متفانين فى نشره فى كل مكان بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن.

وإن الإنسان ليدهش ويعجب من صدور مثل هذه الوثيقة من قلب تكودار أحمد ذلك الأمير المغولى، فهل بعد ذلك يدعى كذاب آثم وبهتم الإسلام بأنه دين السيف والإرهاب!! فأين كان السيف والإرهاب فى هذا الوقت.

وقد خلف من بعد تكودار خلفاء ثلاثة كانوا على المسيحية فتوقف نشر الإسلام بين المغول، وحرمت الدعوة إليه ونشر عقيدته بينهم (١٢٨٤ - ١٢٩٥م).

وجاء بعد ذلك غازان خان (١٢٩٥ - ١٣٠٤م)، كان فى بداية الأمر بوذيا، فلم يلبث بعد بحث فى الديانات المختلفة أن اعتنق الإسلام، وأيقن صحة عقيدته لموافقتها للفطرة السليمة، وكان لذلك أثر كبير فى قادته وجنوده،لاعتناقهم الإسلام.

وخلف من بعده أخوه أولجاتيو (سنة ١٣٠٤م)، الذى شب على المسيحية دين أمه، ولما ماتت أمه اعتنق الإسلام وهو لا يزال فى ريعان الشباب، وقيل إن السبب فى

(١) الدعوة إلى الإسلام ص ٢٣٨ - ٢٦٢، بتصرف
، الإسلام ظهوره وانتشاره فى العالم ص ٢٧٤ - ٢٨٦ بتصرف.
، الإسلام الفاتح ص ٧٦ - ٧٩ بتصرف.
، صبح الأعشى جـ١، جـ٧ ص ٦٥ - ٦٨ ، ٢٣٧ - ٢٤٢.



اسلامه زوجته المسلمة، ولما أسلم سمى نفسه محمد خدابنده (محمد عبد الله) ومن ذلك الوقت والإسلام هو الدين السائد فى الدولة الإيلخانية بفارس.

وكان إسلام خانات المغول دفعة جديدة مدت حدود الإسلام إلى مناطق بعيدة ففى عهد بركة خان حفيد جنكيز خان عرفت دولته باسم امبراطورية "التون أردوا الإسلامية". وتوالى بعد ذلك خانات المغول.

بهذه الجهود من المسلمين الدعاة، دخل فى الإسلام ثلاثة وخمسين ألفا. ثم انتقل الإسلام إلى القبائل المجاورة للقرغيز، وعن هذه القبائل انتقل إلى فنلندا فى أوربا.

وكل هذا الإنتشار للإسلام فى روسيا يرجع الفضل فيه إلى التتار الذين كانوا فى بداية الأمر من ألد أعداء هذا الدين فأصبحوا بنعمة الله وفضله من أشد المتمسكين به المتحمسين لنشره والعاملين على تبليغه، والحقيقة أن الإسلام قوى بذاته فاتح غلاب بمبادئه وتعاليمه، قادر على الدخول إلى قلوب خصومه وهدايتهم إلى طريق الحق كما استطاع أن يطوى أعدائه تحت جناحه من قبل من المكيين والقرشيين، وسيرهم فى خدمته وفتح لهم أبواب النصر والقوة والتوفيق[1]، وهذا يتوقف على إتاحة المناخ السليم له، والدعاة المخلصين إليه والفقهاء الفاهمين لطرق الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة التى هى أحسن.

وانقسمت تلك الإمبراطورية - بسبب التنازع والاختلاف - إلى دويلات صغيرة مما سهل على الروس بعد ذلك التقامها واحدة بعد الأخرى بعد ضعفها وتفتيت أوصالها[2].

(١) انظر : الدعوة إلى الإسلام ص ٢٧٦ - ٢٧٧، الإسلام فى وجه الزحف الأحمر، والإسلام الفاتح، ص ٨٠، ٨١.
(٢) الأقليات المسلمة فى آسيا، الإسلام الفاتح ص ٧٩.

## الروس وموقفهم من الإسلام:

كان يجاور مغول القبية الذهبية فى جنوب الروسيا شعب إسلامى آخر من أصل تركى هو شعب البلغار، وكان يسكن شمالى البحر الأسود وشرقه، ويرجع إسلام البلغار إلى أيام الخليفة العباسى المقتدر (٢٩٥ - ٣٢٠هـ) - ٩٠٨ - ٩٣٢م)، حين أرسل إليهم رسولا وعددا من الدعاة والفقهاء، يقومون بتعليمهم مبادىء الإسلام وشعائره وتثبيتهم على الدين.

وقد حاول البلغار جذب الروس إلى الإسلام، وكانت مملكة الروس هى كييف، وكانوا وثنيين، وكان ملكهم يسمى فلاديمير، وقد رأى أنه لابد أن يختار دينا آخر غير الدين الوثنى الذى كان يدين به، وكان التنافس شديد بين المسلمين والنصارى على اجتذابه، وقد أبدى ميلا للإسلام ولكنه كره الختان ولم يقبل تحريم الخمر، وكان الروس شديدو الولع بها، وكذلك أخفق اليهود فى كسبه فى حين أرسل المسيحيون داعية لسنا ذكيا شرح له المسيحية شرحا حسنا بليغا كان له أعمق الأثر فى نفسه، وبخاصة وقد وعده هذا المسيحى بملك مملكه السماء إذا هو دخل فى المسيحية.

ولكنه تريث قليلا ثم رأى أن يبعث من الروس وفدا يأتيه بالخبر اليقين من بلاد المسلمين، ووفدا آخر إلى بلاد النصارى فأى الوفدين وجد البلاد التى زارها أسعد وأرخى حالا كان ذلك دليلا على امتياز أهلها فى رأيه، فأما الوفد الذى ذهب إلى بلاد الإسلام فذهب إلى بلاد البلغار، فوجد فيها فقرا فاشيا، ووجدها - كما قال - كئيبة، ووجد مساجدها بسيطة لا زينة فيها، وصلاتهم جليلة وقورة لا موسيقا فيها ولا إنشاد.



وأما الذين ذهبوا إلى بلاد النصارى فقد ذهبوا إلى بلاد الألمان الكاثوليك، فوجدوا وجوها لامعة وأجساما ضخمة وكنائس جليلة، يصلى فيها الناس على نغمات الموسيقى والإنشاد البهيج، ثم توجهوا إلى القسطنطينية حيث استقبلهم الأمبراطور: وقال دعهم يشاهدوا جلال الهنا ثم أخذوا إلى كنيسة أيا صوفيا الضخمة وجعلهم يشاهدون الصلاة بملابس قساوستها الزاهية الألوان وتراتيلهم الرخيمة، ورائحة البخور، فخيل لهؤلاء وبدا لهم أن ذلك فى رأيهم أقرب العقائد إلى الله سبحانه، إذ أنه أضفى عليها هذا الجلال كله، ولما رجع السفراء وأخبروه بما شاهدوا وبعد تداول طويل بين الملك ونصحائه استقر رأيه على اتباع المسيحية على مذهب الكنيسة الإغريقية، هى ما نسمية نحن بعقيدة الروم الأرثوذكس (سنة ٩٨٨م)، وهكذا كسبت المسيحية شعب الروس كله، وانتشر فى كل ما سكنوه وخضع لهم من بلاد، وهذا حدث يعتبر من أخطر الأحداث التاريخية فى تاريخ الإسلام، ولا نزال نحس أثره إلى اليوم، وبخاصة وقد تعصب قياصرة الروس للمسيحية تعصباً شديدا وأوقفوا تقدم الإسلام فى بلادهم، بل أخذوا فى توسعهم فى آسيا يضطهدون الإسلام فيما ضمه من بلاد. ولم يتنفس مسلمو روسيا الصعداء إلا سنة ١٩٠٧م عندما أعلن قيصر روسيا التسامح الدينى فى بلاده.

وعندما قامت الثورة الشيوعية فى روسيا سنة ١٩١٧، كان هناك أعداد كبيرة نسبياً من المسلمين معظمهم من التتار الذين كان القياصرة يستجلبونهم من آسيا للاستعانة بهم فى الشئون العسكرية، وكان هؤلاء يسكنون مساحات واسعة تمتد من بلاد القرم إلى السفوح الشرقية لجبال الكربات وكانت هناك أعداد كبيرة من أولئك

التتار فى ليتوانيا وكانت سهول القرغيز التى تقع شمال شرقى بحر الجزر (قزوين) وتصل إلى شرقى الفولجا عامرة بالمسلمين، فأين ذهب هؤلاء جميعا؟.

نلاحظ **أولا**: أن السلطات الروسية كانت تكره أن ينشىء التتار مساجد لهم، فكانوا يقيمون شعائر دينهم فى زوايا صغيرة نائية يتخذونها من الخشب فى قراهم وفى أحياء المدن الى يسكنونها، ولم يكن بينهم علماء دين يفقهونهم فى أمور دينهم فكان إسلامهم مشوبا بأشياء كثيرة خارجة عن الإسلام.

**ثانياً**: لم يكن يسمح لهم بالزواج من الروسيات إلا إذا ادخلوا فى المسيحية على مذهب الروم الأرثوذكس.

**ثالثاً**: بدأت الحكومة الروسية فى أيام كاترين الثانية تعمل على تنصير المسلمين وتضطهدهم وتنزل بهم العقاب الصارم والاضطهاد العنيف.

وقد ظل المسلمون محتفظين بدينهم، وعاشوا فى فقر وعسر فى مناطقهم متحملين هذا العسف كله من أجل الاحتفاظ بعقيدتهم حتى جاءت الثورة الشيوعية فى أكتوبر (١٩١٧)، فرفضوا التخلى عن دياناتهم، فصدر قرار – فى أيام لينين بنقلهم جميعاً إلى سيبريا وتفريقهم فى نواحيها.

وفى جبال سيبريا وغاباتها اختفى التتار الروسيا المسلمون.

وأما المسلمون القرغيز، فقد ظلوا متمسكين بدينهم الإسلامى رغم كل محاولات الروس فى تنصيرهم وفى أيام كاترين الثانية لجأت الحكومة الروسية الإفسادية فى ذلك الحين إلى حيلة مضللة، فقيدت أولئك الناس فى السجلات المسيحية، واعتبرت من يبقى منهم على الإسلام بعد ذلك مرتدين توقع عليهم عقوبة صارمة، وزعمت الوثائق الروسية أنهم كانوا فى الأصل وثنيين ثم تنصروا ثم ارتدوا عن المسيحية، وعرضت هؤلاء للإضطهاد والعقاب الشديد، ومع كل هذا فقد حدث العكس، فقد كان الإسلام يزداد يوماً بعد يوم وأقبل القرغيز على الإسلام أقبالا شديدا، بل أنشأوا فى قازان – عاصمة قطرهم – مركزا للدعوة الإسلامية، وكانوا يطبعون منشورات الدعوة إلى الإسلام التعريف به بلغتهم، وكان العارف بالإسلام عندهم يسمى (الملا) وهو لفظ فارسى معناه الشيخ أو الفقيه، وهم يجمعونه على (مليات) فكان المليات منهم من أساتذة جامعة قازان وطلابها ينتشرون فى القرى والفياقى، يدعون بنى جلدتهم إلى الإسلام، ويعرفونهم به، وقد نجحوا فى ذلك نجاحاً كبيراً، وبخاصة فى السنوات التى أعلنت فيها الحكومة القيصرية حرية الأديان (١٩٠٥ – ١٩١٠م)[1].

---

١ الأقليات المسلمة فى العالم ، ص ٢٤، مصدر سابق.



# الخاتمة

## وبعد...

فقد انتهينا فى هذا البحث إلى الحقائق التالية:

١- الإسلام هو الدين الحق الذى يحمل فى طياته سلامة الحياة، وأمنها واستقرارها.

٢- الرد على أولئك الذين يدعون على الإسلام كذباً وزوراً أنه انتشر بقوة السيف وإرهاب الناس بالقوة.

٣- الإسلام يحمل فى مبادئه وقيمه قوته الذاتية التى تحمل الناس على اعتناقه واعتقاده بلا إكراه ولا إجبار.

٤- يحقق العدل والمساواة بين كل الناس ويمنع الظلم والبغى بينهم.

---

- الإسلام فى وجهة الزحف الأمر، ص ص ١٢٥- ١٢٦.
- الإسلام ظهوره وانتشاره فى العالم.

٥- الفتح الإسلامى لم يكن للمغنم ولا للمأرب وإنما لهداية الناس إلى الطريق المستقيم واخراجهم من الظلمات إلى النور.

٦- الإسلام هو دين السلم والسلام والاستسلام لله رب العالمين فهو لم ينسب لشخص ولا لقبيلة ولا لزمان ولا لمكان وإنما منسوب لله الواحد القهار.

٧- الله أسأل أن يرزقنا الصدق والأخلاص فى القول والعمل والسر والعلن.

والحمد لله فى البدء والختام وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

## التوصيات

أطمع أن يكون هناك فى الإعلام برامج متخصصة تركز على الفتوحات الإسلامية فى كل العصور منذ ظهور الإسلام.

ولو أن أعداء الإسلام تركوه، وشأنه يؤمن به من يؤمن ويكفر به من يكفر بلا فتنة ولا صد عنه لكان له شأناً آخر ولكان للحياة وجهاً آخر غير هذا لكن الأعداء أحسو منه خطراً، ورأوا أنه يهدد كيانهم وكبرياتهم، فهبوا سراعاً للذود عن كياتهم والصد عن سبيل الله بكل الطرق، ولو أنهم فى هذه الطرق سلكوا مقارنة دليل بدليل لرحب الإسلام بهذا، ولاطمأن إلى نتائجه لكن الأمر مشى على خلاف ذلك وسار على سياسة الصلف والتحدى والغرور والغطرسة واستعمال القوة التى لا ينفع معها إلا المثل والتى لا يحسن الأقوياء غيرها.



"وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا..."(١)

إن هذه السياسة جعلت الوحى الألهى ينزل من فوق سبع سموات بقوله تعالى:

"وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخير ترهبون به عدو الله وعدوكم. وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم..."(٢)

(١) سورة إبراهيم آية ١٣.

(٢) سورة الأنفال آية ٦٠.

## المراجع


١- القرآن الكريم.

٢- تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ط سنة ١٩٨٠.

٣- تفسير القرطبى (الجامع لأحكام القرآن) - لأبى عبد الله بن محمد ط الريان.

٤- جامع البيان عن تأويل أى القرآن لأبى جعفر بن محمد بن جرير.

٥- الطبرى: ط، دار الفكر.

٦- فى ظلال القرآن الكريم، للأستاذ سيد قطب، ط، دار الشروق.

٧- التفسير الوسيط، مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٧٤.

٨- أسباب النزول، لأبى الحسن على بن أحمد الواحدى،ط،عالم الكتب..

٩- مناهل العرفان ف علوم القرآن، للشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى، ط، عيسى الحلبى.

## الحديث:


١- صحيح الإمام التجارى، ط، دار الشعب.

٢- صحيح الإمام مسلم، ط، صبيح.

٣- صحيح سنن المصطفى صلى الله عليه وسلم لأبى داور السجستانى.

٤- سنن ابن ماجه، للحافظ أبى عبد الله محمد القزوينى، ط، دار الفكر.

٥- فتح البارى يشرح صحيح التجارى.

٦- الكامل فى التاريخ، لأبن الأثير، ط، دار حنا وبيروت.

٧- تاريخ الرسل والملوك، لأبن جرير الطبرى، ط، دار المعارف، سنة ١٩٦٢، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

٨- فتوح البلدان، للبلاذرى، مكتبة النهضة،ط، صلاح الدين المنجد.

٩- البداية والنهاية، لأبى الفداء اسماعيل بن كثير، دار الغد.

١٠- السيرة النبوية، لأبن هشام، د. أحمد حجازى السقا.

١١- عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير، لأبن سيد الناس.

١٢- فقه السيرة، للشيخ محمد الغزالى السقا.

١٣- فقه السيرة، د. محمد سعيد البوطى.

١٤- الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان.

١٥- الخصائص العامة للإسلام، للدكتور/ يوسف القرضاوى.

١٦- الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، د. أحمد غلوش.

١٧- الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر، للشيخ محمد الغزالى.





١٨- الوحى المحمدى، للأستاذ محمد رشيد رضا.

١٩- فقه الدعوة، د. جمعة الخولى.

٢٠- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين.

٢١- نظر الحرب والسلام فى الإسلام، للإمام محمد أبو زهرة.

٢٢- الإسلام والسلام العالمى، للأستاذ/ سيد قطب.

٢٣- حقوق الإنسان فى الإسلام. د/ على عبد الواحد وافى.

٢٤- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط، دار المعارف.

٢٥- مختار الصحاح، لمحمد عبد القادر الرازى.

٢٦- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، محمد فؤاد عبد الباقى.

٢٧- الصين ويأجوج ومأجوج عالم المجهول، ص ١٤٧ د/ عبد العزيز عبد الرحمن المسند، ص ٢، الرياض، ص ٢٠٠٠ م.

٢٨- الأقليات المسلمة فى العالم ظروفها المعاصرة آلامها وآمالها، ص ٤٣٣، مجلد (١) ط دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، سنة ١٤٢٠هـ، سنة ١٩٩٩م.

٢٩- الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة، ص ١٠٧، سنة ١٩٨٩م الندوة العالمية للشباب الإسلامى.